ترجمہ متن کامل

اسرار الصلوٰۃ

عارف کامل میرزا جواد آقا ملکی تبریزیؒ



ترجمہ: صادق حسن زادہ - علی خضیلی



www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

اسرار الصلاه

اشارة

سرشناسه : جوادی آملی، عبدالله، - ۱۳۱۲
عنوان و نام پدیدآور : اسرار الصلاه/ تالیف الجوادی الاملی؛ تحقیق موسسه النشر الاسلامی
مشخصات نشر : قم: جماعه المدرسین بقم، موسسه النشر الاسلامی، ۱۴۱۵ق. = ۱۳۷۳.
مشخصات ظاهری : ص ۱۲۴
فروست : (موسسه النشر الاسلامی التابعه لجماعه المدرسین بقم المقدسه۷۴۸)
شابک : بها: ۱۲۵۰ریال ؛ بها: ۱۲۵۰ریال
یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس
موضوع : نماز
شناسه افزوده : جامعه مدرسین حوزه علمیه قم. دفتر انتشارات اسلامی
رده بندی کنگره : BP۱۸۶/۲/ج۹الف۵ ۱۳۷۳
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۳۵۳
شماره کتابشناسی ملی : م۷۳-۹۴۰۴

[المدخل]

اشارة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
و إيّاه نستعين
الحمد للّه الذى يعلم السرّ و أخفى، و الصلاة على صاحب سرّه الذى دنا فتدلّى فكان قاب قوسين أو أدنى، و على أهل بيته الّذين هم مواضع سرّه، و حماة أمره، و عياب علمه، و موائل حكمه، و كهوف كتبه، و حبال دينه، بهم نتولّى، و من أعدائهم نتبرّأ الى اللّه الذى كلّ سرّ عنده علانية.
و بعد، فيقول العبد المفتاق إلى اللّه الجواد، عبد اللّه الجوادىّ الطبرىّ الآملىّ:
هذه وجيزة حول أسرار الصلاة، معمولة ممّا ورثتها من السلف الصالح، أو سنح لى و أورثته للخلف الفالح، لتكون ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع و هو شهيد، راجيا منه سبحانه أن يصونها عن شوب طلب ما سواه، و أن يجعلها خالصة لوجهه الذى لا بقاء لما عداه، و أن يصحّح عيبها، و يكمل نقصها، و يتمّ قصرها، و يقرّب بعدها، حتّى تصير كلما طيّبا يصعد اليه.
و حيث إنّ الصلاة عمود الدين: إن قبلت قبل ما سواها، و إن ردّت ردّ ما سواها، و كلّ عمل تابع للصلاة «1» تكون إسرارها أعمدة أسرار الدين، إن نيلت و شوهدت إسرارها تنال و تشاهد أسرار ما عداها، فبالحرى أن يجاهد السالک و يجتهد العارف لأن ينال و يشهد ما هو عمود أسرار الدين، حتّى ينال الدين كلّه و يشهده تمامه، و يستظلّ تحت ولائه جلّ شأنه، يوم لا ظلّ إلّا ظلّه.

---

(1) نهج البلاغة: كتاب 27 «كلّ شىء من عملک تبع لصلاتک».
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 4
و ليعلم: أنّ السرّ فى قبال العلن، كما أنّ الغيب فى قبال الشهادة، و هو على قسمين:
أحدهما: هو السرّ البحت، كالغيب المطلق.
و ثانيهما: هو السرّ المقيّد و المقيس، كالغيب المضاف، كما أنّ العلن كالشهادة على قسمين: مطلق و مقيّد مقيس.
و لمّا كان معنى السرّ المقابل للعلن واضحا بحسب المفهوم لم يحتج الى التفسير و إن كان بحسب الكنه فى غاية الخفاء، و إذا أحرز وجوده ينتظم البحث الصناعىّ- حينئذ- من أنّ السرّ ما هو؟ و أنّه هل هو؟ و أنّه كم هو؟ و ما دام لم يثبت وجوده لا يصحّ تقسيمه، كما لا يصحّ ترتيب سائر ما يتفرّع على وجوده.
و الذى يدلّ على وجود السّر للصلاة أمران:

الأوّل: ما يعمّها و ما عداها بلا اختصاص لشىء من ذلک.
و الثانى: ما يختصّ بها، أو يختصّ بالأمر العبادىّ، سواء كان صلاة أو غيرها.

ثمّ الذى يدلّ على وجود السرّ لكلّ شىء: إمّا عقلىّ مشفوع بالنقلىّ، و إمّا نقلىّ مؤيّد بالعقلىّ.

اشارة

فالبحث فى مقامين:
المقام الأوّل: فى الدليل العقلىّ.
و المقام الثانى: فى الدليل النقلىّ.

أمّا المقام الأوّل ففى الدليل العقلىّ المشفوع بالدليل النقلىّ

فهو: أنّ لكلّ شىء موجود فى العالم الطبيعىّ له وجودات أخر فى العوالم الثلاثة السابقة عليه: من عالم المثال، و عالم العقل، و عالم الإله، يعنى: أنّ لكلّ شىء طبيعىّ وجودا مثاليّا يشاهد بصورته المثالية، و وجودا عقليّا ينال بحقيقته، و وجودا إلهيّا، إذ الإله هو بسيط الحقيقة، و هو كلّ الأشياء، و ليس بشىء منها، و لا ينال

أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 5

الوجود الإلهىّ للأشياء إلّا للّه سبحانه و لمن فنى فيه، يشاهد- حينئذ- تلك الأشياء أيضا، و لكن بلا شهود تعيّنها، كما لا يشهد تعيّن نفسه.

و المعهود من غير واحد من آل الحكمة هو: تثليث العوالم من الطبيعة و المثال و العقل؛ لعدم اتّضاح قاعدة بسيط الحقيقة كلّ الأشياء لديهم، و أمّا المشهود للأوحدىّ منهم هو التربيع بعد اتّضاح تلك القاعدة. فكلّ عال هو سرّ للدانى، كما أنّه غيب له، الى أن ينتهى الأمر إلى السرّ الصرف الذى هو الغيب البحت.

ثمّ إنّ المثال الحقّ قد يكون مقيّدا، و قد يكون مطلقا؛ و ذلک: إمّا بنحو الاتّصال بالنفس، أو الانفصال عنه، أو بنحو آخر، و هكذا العقل: قد يكون مقيّدا و قد يكون مطلقا، و كلّ ذلک إنّما يصحّ أن يكون سرّا إذا كان حقّا موجودا فى نفس الأمر، تناله النفس المتحرّكة بجوهرها، لا ما نسجته يد الوهم أو لفّقته يد الخيال؛ لأنّه باطل و لا سرّ له. و حيث إنّ البيان العرفانىّ موافق للبيان البرهانىّ يكون هذا التربيع مشهودا لدى العارف الواصل، كما أنّه يكون معقولا للحكيم الكامل، و تفصيل ذلک على ذمّة الحكمة المتعالية، و على كأهل العرفان النظرىّ، و سيأتى الدليل القرآنىّ المؤيّد لما نطق به البرهان و شاهده العرفان.

فهو: أنّ أن الصلاة كغيرها من العبادات ممّا بيّنه القرآن الحكيم، و كلّ ما بيّنه القرآن فله تأويل كما له تفسير، و له باطن كما له ظاهر، و لا بدّ أن يكون التأويل ملائما للتفسير، و الباطن موافقا للظاهر. و التأويل إنّما هو: أمر عينىّ لا ذهنىّ، و مصداق خارجىّ لا مفهوم نفسىّ، و سيظهر ذلک التأويل يوم تبلى السرائر، كما قال سبحانه «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّٰا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ

جٰاءَتْ رُسُلُ رَبِّنٰا بِالْحَقِّ» «1».

و الذى أنتجه هذا القياس الاقترانىّ المسوق على الشكل الأوّل البديهىّ الإنتاج هو: أنّ للصلاة تأويلا يأتى ذلک التأويل يوم القيامة، و حيث إنّ للظاهر بطونا متراقية بعضها فوق بعض فللصلاة بطون و تأويلات متدارجة بعضها فوق بعض، فينطبق على ما نظر إليه البرهان، و أبصره العرفان.

و ممّا يدلّ أيضا على أنّ للصلاة كغيرها من العبادات سرّا هو: أنّها من الموجودات المعدودة جزءا من السماوات و الأرض، أى: النظام العينىّ، و كلّ موجود هو جزء من النظام العينىّ العامّ فله غيب، كما أنّ له شهادة. و قال سبحانه:

«وَ لِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ» «2»، و ليس المراد هو خصوص ما غاب عنهما، بل يشمل غيبتهما أيضا.

و الذى أنتجه هذا القياس أيضا هو: أنّ للصلاة غيبا كما أنّ لها شهادة، و حيث إنّ للظاهر بطونا- و كلّ باطن فهو غيب للظاهر- فللصلاة غيوب متراقية بعضها فوق بعض، فينطبق على ما تقدّم من معقول البرهان و مشهود العرفان.

و ممّا يدلّ أيضا على أنّ للصلاة و لغيرها سرّا بالتقريب المتقدّم قوله سبحانه:

«وَ إِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلّٰا عِنْدَنٰا خَزٰائِنُهُ وَ مٰا نُنَزِّلُهُ إِلّٰا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» «3»، و قوله سبحانه:

«وَ لِلّٰهِ خَزٰائِنُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ.» «4»؛ و ذلک لأنّ الصلاة شىء خارجىّ على ما يأتى، فهى ممّا له خزينة، بل خزائن؛ لأنّ ظاهر الآية هو: أنّ لكلّ شىء خزائن، لا أنّ لمجموع الأشياء خزائن حتّى يكون من باب وقوع المجموع قبال المجموع الآخر، فعليه يكون لكلّ موجود طبيعىّ خزائن بعضها فوق بعض، فينطبق على تعدّد العوالم حسبما قرّر.

و حيث إنّ القرآن الحاوى للصلاة و غيرها أيضا شىء خارجىّ فى عالم الطبيعة

(1) الأعراف: 53.
(2) الحجر: 21.
(3) هود: 123.
(4) المنافقون: 7.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 7
فله بما فيه من المضامين خزائن إلهيّة، قد تنزّل القرآن من تلک الخزائن الطوليّة، كما أنّ الصلاة و غيرها معدودة من النظام الكيانىّ المعبّر عنه بالسماوات و الأرض فلها أيضا خزائن، إذ للسماوات و الأرض خزائن، و لمّا كانت تلک الخزائن عند اللّه سبحانه- وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ، و ما عند غيره فان كما قال سبحانه «مٰا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ» «1»- فأسرار السماوات و الأرض الّتى منها الصلاة موجودات خارجيّة مصونة عن النفاد، و لا تنال إلّا بالصعود إليها بعد هجران النافد الزائل، إذ لا يمكن الوصول إلى الباقى إلّا بعد هجرة الفانى؛ لأنّه حجاب لا محيص عن تركه.
و ممّا يدلّ أيضا على أنّ للصلاة- كغيرها- سرّا قوله تعالى «فَسُبْحٰانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ» «2» لدلالته على أنّ لكلّ شىء ملكوتا يلائمه التسبيح، بخلاف الملک الذى يناسبه التبارک كما قال تعالى «تَبٰارَکَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْکُ»، حيث إنّ التبارک من الأسماء التشبيهيّة، و السبحان من الأسماء التنزيهيّة. و لمّا كان لكلّ شىء ملكوت- و هى أمر وراء الملک، و من شاهدها كان من أصحاب اليقين كما قال تعالى فى إبراهيم عليه السّلام «وَ كَذٰلِکَ نُرِى إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ» «3»- فللصلاة أيضا ملكوت تكون هى سرّها، و تلکَ الملكوت ثابتة؛ لأنّها بيد اللّه تعالى لا بيد المصلّى، و لا تنال تلک الملكوت السرّيّة إلّا بعد السفر من الملک.
و لعلّ قوله تعالى «قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ» «4» تلميح إلى بعض ما مرّ؛ و ذلک لأنّ وصف اللّه الذى أنزل القرآن بأنّه عالم السرّ يشعر بأنّ للقرآن المشتمل على ما فيه من المعارف و الأخلاق و الأحكام سرّا فلجميع ما فيه أيضا أسرار.
نعم، فرق بين أن يقال: إنّه عالم سرّ السماوات و الأرض، و أن يقال: هو عالم

(1) النحل: 96.
(2) الأنعام: 75.
(3) يس: 83.
(4) الفرقان: 6.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 8

السرّ فيهما؛ إذ الأوّل دالّ على أنّ لهما سرّا دون الثانى، و لكنّ وصف البارى المنزل للقرآن بأنّه عالم السرّ يشعر بأنّ للقرآن سرّا، و إن كان فيما مضى غنى و كفاية.
بقى أمر هامّ، و هو: أنّ نطاق الدليل خاصّ بالموجود التكوينىّ، و هكذا ظاهر غير واحدة من الآيات المارّة الذكر، لظهورها فى الموجود العينىّ، و حيث إنّ الصلاة و غيرها من العبادات أمور اعتباريّة مؤلّفة من عدّة أشياء لا وحدة لمجموعها فلا وجود للمركّب منها، إذ الوجود مساوق الوحدة يدور معها حيثما دارت، فمتى انتفت الوحدة فى مورد ينتفى الوجود هناک، و لمّا انتفت الوحدة الحقيقيّة للمؤلّف من تلک الأمور:
كالركوع و السجود و القراءة و القيام و الذكر و النيّة و نحوها فلا وجود للمركّب منها، و عليه فلا يندرج تحت الدليل العقلىّ، و لا يشمله الدليل النقلىّ؛ لاختصاصهما بما له وجود عينىّ.
و الحلّ هو: أنّ الأمر الاعتبارىّ قد يكون اعتباريّا محضا لا منشأ له عدا الاعتبار الذى زمامه بيد المعتبر، و قد يكون اعتباريّا مستندا الى موجود تكوينىّ هو المصحّح له.
و القسم الأوّل من الاعتبارىّ خارج عن البحث، كما أنّه خارج عن نطاق الدليل الدالّ على أنّ لكلّ شىء سرّا.
و القسم الثانى منه داخل فى البحث، كما أنّه مندرج تحت الدليل المذكور، إذ الذى يكون استناده إلى أمر تكوينىّ عينىّ يكون محكوما بحكمه سعة و ضيقا، فهناک وحدة حقيقيّة يدور معها الوجود الحقيقىّ، فهناک سرّ تكوينىّ نصّا.
ثمّ إنّه يمكن أن يستأنس ببيان آخر لإثبات السرّ للصلاة، من حيث اشتمالها على القرآن الذى تكلّم به اللّه تعالى، و حيث إنّ المتكلّم قد تجلّى فى كلامه و كتابه- كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «فتجلّى لهم سبحانه فى كتابه، من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته» «1»- فيكون المتكلّم المتجلّى سرّا و غيبا و باطنا فى كلامه، فالقارئ المصلّى إذا تدبّر فى القرآن الذى يقرأه فى صلاته و تطهّر عن دنس

---

(1) نهج البلاغة: الخطبة «147».

العصيان و تنزّه عن رين الذنب، بل عن لوث التعلّق بغير اللّه يراه بقلبه، أو يصل الى حدّ كأنّه يراه، و يعلم أنّه إن لم يكن يراه فإنّ اللّه سبحانه يراه قطعا.
و هذا الوجه كما أنّه غير مختصّ بالصلاة- لتحقّقه فى غيرها أيضا ممّا يقرأ فيه القرآن- لا يعمّ جميع أحوال الصلاة أيضا؛ لعدم جريانه فى غير قراءة الفاتحة و السورة الأخرى و ما يقرأ من القرآن حال الصلاة.

الى هنا انتهى الأمر الأوّل فى نبذ ممّا يدلّ عقلا أو نقلا على أنّ للعبادة الّتى منها الصلاة سرّا بلا اختصاص لذلک بها، أى: بالصلاة.
و أمّا الأمر الثانى الباحث عمّا يختصّ بالدلالة على أنّ للصلاة سرّا فسيأتى إن شاء اللّه فى ثنايا هذه الرسالة.
فتبيّن فى هذا المدخل أمور:
الأوّل: أنّ السرّ المقابل للعلن: إمّا مطلق و إمّا مقيّد.
الثانى: أنّ الدليل على وجود السرّ للصلاة عامّ و خاصّ.
الثالث: أنّ الدليل العامّ عقلىّ و نقلىّ.
الرابع: أنّ الأمر الاعتبارىّ المعتمد على التكوين محكوم بحكم الأمر الحقيقىّ، بخلاف الأمر الاعتبارىّ العارى عن الاعتماد المذكور.
الخامس: أنّ اللّه سبحانه قد تجلّى فى كتابه و كلامه.
السادس: أن المصلّى المتطهّر عن دنس التعلّق بما عدا اللّه تعالى: إمّا يشاهده بقلبه، و إمّا يصل إلى مقام الإحسان.
السابع: بعض أدلّة السرّ مختصّ بحال القراءة.
و حيث إنّ للصلاة مقدّمات تتقدّم ماهيتها، و تعقيبات تتأخّر عنها، و لكلّ من الماهية و حاشيتها أسرار خاصّة فلذا يكون نضد هذه الوجيزة على فاتحة و صلات و خاتمة، بأن تكون الفاتحة كافلة لنزر من أسرار مقدّماتها، و كلّ صلة من تلک الصلات الموصولة حاوية لنبذ من أسرار أركانها و أجزائها المقوّمة لها، و الخاتمة مشتملة لعدّة من أسرار تعقيباتها، فها نحن نبدأ بعونه تعالى.

لعلّک كنت مقروع السمع بالميز بين السرّ و الحكمة و الأدب، حيث إنّ سرّ العبادة- كالصلاة- يرجع إلى ملكوتها و ما فوقها، و ما يؤول إلى باطنها.
و أمّا حكمتها: فهى الغاية المترتّبة عليها من العروج، و النجاة عن الهلع و.
و أمّا أدب العبادة- كالصلاة- فيرجع إلى وصف المصلّى، بأن يكون حاضر القلب، خاشع القالب، مستديم الذكر، صائنا عن الالتفات إلى غير المعبود، مع ماله من الأوصاف الظاهريّة المعهودة، فأين ذلک من السرّ؟ فبينهما فرقان.
نعم، لا ينال سرّ الصلاة إلّا بحفظ الأدب، فالآداب علل معدّة، و أسباب ممدّة لنيل نبذ من إسرارها، إذ النيل الى الباطن لا يمكن إلّا لمن طهر ضميره، وصفا باطنه، و سلم قلبه، فكما أنّ ظاهر القرآن لا يمسّه إلّا المتطهّر من الحدث، و باطن القرآن لا يمسّه إلّا المتطهّر من دنس الذنب كذلک ظاهر الصلاة لا يأتيه إلّا المتوضّئ أو المغتسل، و باطنها لا يأتيه إلّا المتطهّر عن لوث النظر إلى غير المعبود الذى يصلّى له، للزوم التناسب بين الشاهد و المشهود؛ لأنّ المحجوب و المضمور فى نشأة لا يشاهد ما فوقها، و لذا لا يشهد الحسّ ما يشاهده الخيال، كما لا يشهد الخيال ما يشاهده العقل.
و حيث امتاز سرّ الصلاة عن أدبها كامتياز سرّها عن حكمتها يلزم البحث عن خصوص إسرارها دون آدابها و إن تجشّم الغزالىّ، و وافقه غير واحد من الأعلام نحو
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 11
زين الدين بن علىّ المشهور بالشهيد الثانى رحمه اللّه (911- 965 ه ق)، و المولى محسن القاسانىّ الملقّب بالفيض، و غيرهما من المتأخّرين فى البحث عن حضور القلب و الإخلاص و النيّة، و ما الى ذلک ممّا يرجع إلى آداب الصلاة، أو أوصاف المصلّى، و أين ذلک من البحث عن أسرار الصلاة و لابتيها؟ لأنّ سرّ الصراط السوىّ إلى الصلاة هو غير سرّ السالک الى المصلّى و أن لا يسير على سرّ الصلاة و باطنها إلّا سرّ المصلّى و باطنه؛ للزوم التناسب بين السالک و المسلک فى العمل كلزوم التناسب بين العالم و المعلوم فى النظر.
ثمّ إنّه و إن تقدّم فى المدخل أنّ للعقل مدخلا فى إثبات الأسرار كالنقل و الكشف إلّا أنّ ذلک فيما يرجع إلى الأمر العامّ و الكلّىّ و المطلق و الصرف، و أمّا الخاصّ و الجزئىّ و المقيّد و المشوب فلا دخالة للعقل فى شىء من ذلک؛ لعدم جريان البرهان العقلىّ المأخوذ من المقدّمات الكلّيّة فى الأمر الجزئىّ الخاصّ.
نعم، للعقل أن يبيّن الخطوط الرئيسة، حتّى لا يناقضها الجزئىّ المنقول أو

المشهود. و إنّما المهمّ فى إثبات سرّ خاصّ لعبادة مخصوصة هو: النقل المعتبر، أو الكشف الخالص عن شوب التمثّل الشيطانىّ أو النفسانىّ، و له ميزان يوزن به عند أهله، كما أنّ للنقل قسطاسا مستقيما يوزن به عند أهله.
إنّ النظام العينىّ من الواجب و الممكن منضود بالنضد العلّىّ الذى لا يتخطّاه شىء فى أصل وجوده، و لا فى كمال وجوده، و من المبيّن فى موطنه أنّ الدانى لا يؤثّر فى العالى، كما أنّ الظاهر لا يصير علّة للباطن و إن أمكن أن يكون ذلک كلّه علامة أو علّة إعداديّة، بل المؤثّر فى العالى هو الأعلى منه، كما أنّ العلّة للباطن ما هو الأبطن منه، الفائق عليه. و من هنا يظهر سرّ ما ورد فى الطهارة الّتى هى من مقدّمات الصلاة حسبما رواه أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد البرقىّ (المتوفّى 274 أو 280 ه ق) فى المحاسن بإسناده عن أبى عبد اللّه- عليه السّلام- قال: بينما أمير المؤمنين- عليه السّلام- قاعد و معه ابنه محمّد إذ قال: يا محمّد، ائتنى بإناء فيه ماء أتوضّأ منه للصلاة، فأتاه محمّد بالماء، فأكفأ- عليه السّلام- بيده اليسرى على اليمنى،
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 12
ثمّ قال عليه السّلام: بسم اللّه الذى جعل الماء طهورا و لم يجعله نجسا، ثمّ استنجى، فقال: اللّهمّ حصّن فرجى و أعفّه، و استر عورتى، و حرّمنى على النار، ثمّ تمضمض فقال: اللّهمّ لقّنّى حجّتى يوم ألقاک، و أنطق لسانى، ثمّ استنشق و قال: اللهمّ لا تحرمنى ريح الجنّة، و اجعلنى ممّن يشمّ ريحها و طيبها، ثمّ غسل وجهه و قال: اللهمّ بيّض وجهى يوم تبيضّ وجوه و تسودّ وجوه، و لا تسوّد وجهى يوم تبيضّ وجوه و تسودّ وجوه، ثمّ غسل يده اليمنى فقال: اللهمّ أعطنى كتابى بيمينى، و الخلد فى الجنان بيسارى، ثمّ غسل يده اليسرى فقال: اللهمّ لا تعطنى كتابى بيسارى، و لا تجعلها مغلولة إلى عنقى، و أعوذ بک من مقطعات النيران، ثمّ مسح على رأسه فقال: اللهمّ غشّنى برحمتک و بركاتک و عفوک، ثمّ مسح على قدميه فقال: اللهمّ ثبّتنى على الصراط يوم تزلّ فيه الأقدام، و اجعل سعيى فيما يرضيک عنّى، ثمّ رفع رأسه إلى محمّد فقال: يا محمّد، من توضّأ مثل وضوئى و قال مثل قولى خلق اللّه له من كلّ قطرة ملكا يقدّسه و يسبّحه و يكبّره، فيكتب اللّه له ثواب ذلک الى يوم القيامة «1».
فقه الحديث: هو أنّ اللّه سبحانه يخلق بوضوء من أراد الصلاة ملائكة كثيرة تقدّسه و تسبّحه و تكبّره، و ذلک إذا كان الوضوء مثل وضوء علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، و الدعاء حال الوضوء هو مثل دعائه عليه السّلام، بأن تكون الأدعية هى الأدعية الّتى دعاها علىّ- عليه السّلام- بحاله و حضوره، لا أىّ وضوء، و لا أىّ قول و دعاء، بل إذا كان ذلک الفعل و هذا القول فعلا علويّا و قولا علويّا، يوجب أن يرتّب اللّه سبحانه ذلک الأثر الهامّ عليه، أو

يتمثّل ذلک الفعل و هذا القول بصورة الملک بناء على تمثّل الأعمال.
و لا يستفاد من هذا الحديث أنّ صرف غسل الوجه و اليدين و مجرّد مسح الرأس و الرجلين على المنهج المعهود لدى أهل البيت عليهم السّلام، و صرف التكلّم بتلک الكلمات المأثورة حين الغسل و المسح يصير سببا لأن يخلق اللّه تعالى بكلّ قطرة ملكا

_____

(1) المحاسن: ج 1 ص 116 طبع المجمع العالمىّ لأهل البيت عليهم السّلام، و رواه الكلينىّ- رحمه اللّه- فى الكافى: ح 6 ج 3 ص 70، و الصدوق فى من لا يحضره الفقيه: ح 84 ج 1 ص 41 و فيهما اختلاف يسير.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 13
مقدّسا و مسبّحا و مكبّرا، و ليس ذلک إلّا لأنّ للوضوء بما أنّه سبب للطهارة سرّا عينيّا و باطنا خارجيّا يناله من أخلص وجهه للّه، و يصل اليه من أسلم قلبه للّه، بحيث يصير طاهرا عن كلّ رجس و دنس، و يكون جوهر طهارته تقديسا و تسبيحا و تكبيرا، هنالک يصلح لأن يخلق اللّه من كلّ قطرة من وضوئه ملكا له تلک الآثار الملكوتيّة، أو يمثّله بذلک المثال.
و ممّا يرشد إلى أنّ للوضوء- بما أنّه طهارة عن الرجس- سرّا خارجيّا هو ما روى عن علىّ- عليه السّلام- أنّه قال: «ما من مسلم يتوضّأ فيقول عند وضوئه: سبحانک اللهمّ و بحمدک، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرک و أتوب إليک، اللهمّ اجعلنى من التوّابين، و اجعلنى من المتطهّرين إلّا كتب فى رقّ و ختم عليها ثمّ وضعت تحت العرش حتّى تدفع إليه بخاتمها يوم القيامة» «1».
إذ المستفاد من هذا الحديث هو: أنّ للوضوء صورة ملكوتيّة خارجيّة، عدا ماله من العنوان الاعتبارىّ المؤلّف اعتبارا من عدّة حركات مع النيّة، و تلک الصورة الصاعدة الى تحت العرش هى سرّ الوضوء المعهود لدى الناس، و مثل هذا الوضوء الذى له سرّ تكوينىّ هو الذى يكون نصف الإيمان كما ورد النقل به «2».
و ممّا يؤيّد أنّ الوضوء له باطن مؤثّر فى باطن المتوضّئ المتطهّر ما رواه غير واحد من الأصحاب: أنّه جاء نفر من اليهود الى رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- فسألوه عن مسائل، فكان فيما سألوه: أخبرنا يا محمّد، لأىّ علّة توضّأ هذه الجوارح الأربع و هى أنظف المواضع فى الجسد؟ قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: «لمّا أن وسوس الشيطان الى آدم- عليه السّلام- دنا من الشجرة، فنظر إليها فذهب ماء وجهه، ثمّ قام و مشى إليها، و هى أوّل قدم مشت إلى الخطيئة، ثمّ تناول بيده منها ما عليها فأكل فطار الحلىّ و الحلل عن جسده، فوضع آدم- عليه السّلام- يده على أمّ رأسه

_____

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 2 ص 260.

(2) المصدر نفسه: ص 279.

و بكى، فلمّا تاب اللّه- عزّ و جلّ- عليه فرض اللّه عليه و على ذرّيّته تطهير هذه الجوارح، فأمره اللّه- عزّ و جلّ- بغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة، و أمره بغسل اليدين الى المرفقين لما تناول بهما، و أمره بمسح الرأس لما وضع يده على أمّ رأسه، و أمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئة» «1».
فقه الحديث: أنّ البحث حول قصّة آدم- عليه السّلام- خارج عن نطاق هذه الوجيزة، و المهمّ هنا هو: أنّ الأوصاف النفسانيّة أمور تكوينيّة لا اعتباريّة، فلا توضع و لا ترفع إلّا بأمر تكوينىّ يوضع أو يرفع، و عليه فلا يمكن رفع ما طرأ على النفس من رين الخطيئة إلّا بما هو أمر تكوينىّ يعدّ سرّا و باطنا لمجموع الغسل و المسح حتّى يصلح لأن يكون رافعا أو دافعا للأمر النفسانىّ العينىّ.
و حيث إنّ المزيل للرين النفسانىّ لا بدّ و أن يكون فى نفسه طاهرا عن أىّ رجس، و من المعلوم أنّ الظلم و الكذب و نحو ذلک أرجاس نفسانيّة لا يجتمع معها الوضوء، فهى بمنزلة الناقض له فى فنّ السرّ، كما أنّ الحدث ناقض له فى صناعة الفقه، فما ورد من أنّه «لا ينقض الوضوء إلّا النوم أو الحدث و.» «2» محمول على صناعة الفقه، و ما ورد من أنّ «الشعر الباطل أو الظلم أو الكذب ينقض الوضوء» «3» محمول على فنّ السّر، يعنى: أنّه لا يبقى للوضوء أثر تكوينىّ عند الذنب و العصيان إذا لوحظ باطن الأمر و سرّه، و أن يبقى أثره الاعتبارىّ إذا لوحظ ظاهره، و لعلّه لذا حمل ما رواه سماعة فى ذلک على استحباب إعادة الوضوء، أو احتمل أن يكون ينقض «بالضاد» مصحّف ينقص «بالصاد» «4». و على أىّ تقدير يستفاد من بعض النصوص نقض الوضوء أو نقصه بالكذب أو الظلم أو الشعر الباطل و نحو ذلک، و ليس ذلک إلّا بلحاظ سرّ الوضوء و باطنه.
و من ذلک يظهر: أنّ سرّ الوضوء هو الطهارة الكبرى عن أىّ رجس «5» و رجز،

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 2 ص 282 و 383.
(2) وسائل الشيعة: باب 3 و 8 من أبواب نواقض الوضوء ح 4 و 3 ج 4 ص 180 و 191.
(3) وسائل الشيعة: باب 3 و 8 من أبواب نواقض الوضوء ح 4 و 3 ج 4 ص 180 و 191.
(4) جامع أحاديث الشيعة: ج 2 ص 282 و 383.
(5) راجع المائدة: 6.

فعلى المتوضّئ أن يتطهّر عن كلّ ما ورد فيه أنّه نجس أو رجز أو قذارة و رين و دنس، نحو: الشرک الذى هو الظلم العظيم و الرجس الكبير، حيث قال سبحانه:
«إِنَّ الشِّرْکَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» «1»، و قال تعالى «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ» «2»، و قد قال أيضا «وَ مٰا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّٰهِ إِلّٰا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ» «3»، يعنى: أنّ أكثر المؤمنين مشركون، فأكثرهم نجس بالقذارة الباطنة و إن كانوا طاهرين ظاهرا؛ و ذلک لأنّ مشاهدة غير اللّٰه تعالى و الاعتماد على غيره و الثقة بغيره و الاستناد الى غيره فى شىء من الأقوال و الأفعال و الأحوال شرک فى الباطن، مخالف للتوحيد الخالص، فعلى المتوضئ أن يتطهّر من ذلک الرجس الباطنىّ أيضا حتّى يصير موحّدا خالصا صالحا لأن يناجى ربّه؛ لكى يناجيه ربّه، و هذا المتطهّر مؤمن لا ينجّسه شىء، كما فى المحاسن «4» عن أبى جعفر عليه السّلام. و لمّا كانت المعاصى و الذنوب متفاوتة لأنّ بعضها أقذر من بعض، و كانت الطهارات متمايزة لأنّ بعضها أطهر من بعض كانت الملائكة الّتى يخلقها اللّٰه من كلّ قطرة من الوضوء الخالص أو يمثّلها بصورها- أى: بصور الملائكة- متفاضلة، بأن يكون بعضها أفضل و أرفع من بعض؛ لأنّهم ليسوا سواء كما ورد فيهم «وَ مٰا مِنّٰا إِلّٰا لَهُ مَقٰامٌ مَعْلُومٌ» «5» فمن كانت طهارته أتمّ كانت الملائكة الّتى تتمثّل تلک الطهارة بصورتها أكمل، و هكذا.
و من الملائكة من هو مبعوث للأمور العلميّة، و منهم من هو مأمور بالأمور العمليّة، و للعلم مراتب، و للعمل درجات، فكلّما كانت الطهارة أكمل كانت الملائكة العلميّة أو العمليّة أتمّ حتّى ينتهى الأمر الى من هو جامع بين مراتب العلم و درجات العمل.
و قد تقدّم أنّ لكلّ موجود فى عالم الطبيعة له وجود تامّ و كامل لدى اللّٰه سبحانه، و يشهد له ما ورد فى خصوص الصلاة، و ما لها من المقدّمات و الأركان

---

(1) لقمان: 13.
(2) التوبة: 28.
(3) المحاسن: ج 1 ص 225.
(4) يوسف: 106.
(5) الصافّات: 164.

و الشرائط، كما رواه علىّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبى عمير، عن ابن أذينة، عن أبى عبد اللّٰه- عليه السّلام- قال: قال: ما تروى هذه الناصبة؟ فقلت: جعلت فداک فى ما ذا؟ فقال: فى أذانهم و ركوعهم و سجودهم، فقلت: إنّهم يقولون: إنّ أبىّ بن كعب رآه فى النوم! فقال عليه السّلام:

كذبوا، فإنّ دين اللّه- عزّ و جلّ- أعزّ من أن يرى فى النوم، قال: فقال له سدير الصيرفىّ: جعلت فداک، فأحدث لنا من ذلک ذكرا، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: إنّ اللّه- عزّ و جلّ- لمّا عرج بنبيّه- صلّى اللّه علة و آله- إلى سماواته السبع. إلى أن قال: ثمّ قيل لى: ارفع رأسک يا محمّد، فرفعت رأسى فإذا أطباق السماء قد خرقت، و الحجب قد رفعت، ثمّ قيل لى: طاطئ رأسک انظر ما ترى؟ فطأطأت رأسى فنظرت الى بيت مثل بيتكم هذا، و حرم مثل حرم هذا البيت، لو ألقيت شيئا من يدى لم يقع إلّا عليه، فقيل لى: يا محمّد، إنّ هذا الحرم و أنت الحرام، و لكلّ مثل مثال. ثمّ أوحى اللّه يا محمّد، ادن من صاد، فاغسل مساجدک و طهّرها و صلّ لربّک، فدنا رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- من صاد- و هو ماء يسيل من ساق العرش الأيمن- فتلقّى رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- الماء بيده اليمنى، فمن أجل ذلک الوضوء باليمنى، ثمّ أوحى اللّه- عزّ و جلّ- إليه، أن اغسل وجهک فإنّک تنظر عظمتى، ثمّ اغسل ذراعيک اليمنى و اليسرى فإنّک تلقى بيدک كلامى، ثمّ امسح رأسک بفضل ما بقى فى يدک من الماء، و رجليک الى كعبيک فإنّى أبارک عليک و أوطئک موطئا لم يطأه أحد غيرک، فهذا علّة الأذان و الوضوء «1».

إنّ فقه هذا الحديث الشريف يتكفّل لعدّة من المعارف السرّيّة، و لعلّه يتّضح فى ثنايا هذه الرسالة، و الذى يشار اليه هنا هو: أنّ للوضوء و كذا للماء وجودا كاملا فى العرش، و الماء هو الجارى من نهر صاد، الذى قد عرفت إحدى سور القرآن به، و أنّ للوضوء المعهود حكمة أشير إلى نبذ منها، و هو: أنّ الوجه الناضر و الناظر إلى عظمة

---

(1) الكافى: ج 2 ص 135، عنه جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 7- 10.

الربّ لا بدّ و أنّ يكون مغسولا بماء يجرى من ساق العرش، أو نازلا منه، و أنّ اليدين اللتين تلقيان كتاب اللّه و كلامه لا بدّ و أن تكونا مغسولتين بذلک الماء الجارى أو النازل منه، و أنّ الرأس المبارک ببركة اللّه، و كذا الرجلين اللتين تطئان موطئا مباركا لا بدّ و أن يكون كلّ ذلک ممسوحا ببلل الوضوء الحاصل من ذلک الماء.

و لا مرية فى الفرق بين السرّ و الحكمة و الأدب، إذ السرّ هو الوجود الغيبىّ للوضوء كما فى العرش، و الحكمة هى الفائدة المترتّبة عليه كما أشير إلى شطر منها فى حديث المعراج، و الأدب هو وظيفة المتوضئ للصلاة من رعاية الإخلاص و نحوه؛ لأنّ المشوب غير طاهر، و اللازم هو الطهارة الخالصة حتّى عن شهود الإخلاص؛ لأنّ من أخلص للّه و شاهد إخلاصه فليس بمخلص، كما أنّ من أخلص لتنفجر ينابيع الحكمة من قلبه فهو بعد ليس بمخلص، حيث إنّه نوى غير اللّه، و قصد أمرا سواه و هو انفجار ينبوع

الحكمة؛ لأنّ المتطهّر المخلص لا يرى غير اللّه، فضلا عن أنّه لا يقصد غيره، و إلّا لما كان متوجّها إلى عظمة اللّه فقط، حسبما تقدّم فى حديث المعراج.
و لمّا اتّضح سرّ الطهارة المائيّة و هكذا حكمتها يتبيّن لک الأمر فى الطهارة الترابيّة، و أنّ أقصاها التذلّل لدى العزّة المحضة، و التخضّع فى ساحة الكبرياء الصرف، و التخشّع عند القدرة المطلقة، نحو ما ورد فى حكمة تروک الإحرام من رجحان كون الحاجّ و المعتمر أشعث و أغبر، و لذا قال اللّه تعالى فى حكمة الطهارة الترابيّة كالمائيّة «مٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَ لٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَ لِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» «1»، إذ الطهارة الظاهريّة الحاصلة بالماء المذهب رجز الشيطان حسبما فى قوله تعالى: «. وَ يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَ يُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطٰانِ.» «2» و إن لم تحصل بالتراب و لكنّ التذلّل العبوديّ يحصل به كما يحصل بالماء، فالتراب و الماء من هذا الحيث سواء.

_____

(1) المائدة: 6.
(2) الأنفال: 11.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 18
و لمّا لم يلزم أن يكون البدل كالمبدل كمّا و كيفا لم يلزم فى التيمّم مسح الرأس، كما لم يلزم مسح الرجل أصلا، لا لأنّ وضع التراب على الرأس من علامة الفراق، و المقصود بالصلاة: الوصلة و الوفاق كما أفاده بعض الأعاظم «1» رحمهم اللّه؛ لانتقاضه بالرجل، حيث إنّ وضع التراب عليه ليس علامة للفراق، و لم يكلّف فى التيمّم، مع أنّ أصل المقال غير خال عن الخيال؛ لعدم الدليل العقلىّ أو النقلىّ المعتبر على كون وضع التراب على الرأس أمارة للفراق.
و لمّا اعتبر فى الصلاة الجمع بين طهارة الظاهر و نزاهة الضمير حكم بأنّه لا تجوز الصلاة حتّى يطهر خمس بالماء، و القلب بالتوبة «2»، و المراد من التوبة: هو الرجوع الى الطاعة من المعصية، و الى التولّى من التبرّئ، و الى الحقّ فى ما سواه، و الى الوحدة من الكثرة و.
و ممّا تقدّم يمكن لک كشف سرّ لزوم الطهارة عن الخبث، و إزالة النجاسة عن البدن و الثوب و المسجد و نحو ذلک، و هكذا سرّ لزوم حلّيّة اللباس و المكان عن تعلّق حقّ الغير، إذ المخاطب بتأدية حقّ الغير مشغول الهمّ، و ليس بفارغ البال حتّى يتكلّم و يناجى ربّه، فضلا عن أن يناجيه ربّه.
كما أنّ بالتأمّل فيما مضى يمكن استكشاف سرّ الوقت و استقبال القبلة، و أنّ المعبود لا صباح عنده و لا مساء له، و لذا صلّى رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- صلاة الظهر فى المعراج، مع أنّه كان فى الليل؛ لأنّه عقيب الإسراء الذى كان فى بضعة من الليل، كما قال تعالى «سُبْحٰانَ الَّذِى أَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بٰارَكْنٰا حَوْلَهُ»

«3». كما أنّ المعبود سبحانه أيضا لا اختصاص له بجهة دون جهة، كما قال تعالى «فَأَيْنَمٰا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّٰهِ» «4».

---

(1) هو القاضى سعيد القمّى- رحمه اللّه- فى أسرار العبادات ص 21 طبع الجامعة.
(2) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 26.
(3) الإسراء: 1.
(4) البقرة: 115.

و حيث إنّ المجال ضيّق، و البال ليس بفارغ، و الصداع ليس بفارق، فليعذرنى إخوانى السالكون عن البسط الى القبض، و عن الشرح الى المتن، و عن التفصيل إلى الإجمال، لعلّ اللّه يحدث بعد ذلک أمرا.
فتبيّن فى هذه الفاتحة أمور:
الأوّل: أنّ للطهارة سرّا و حكمة و أدبا، و كلّ واحد منها يمتاز عن غيره، و لكلّ منها درجات، و لا ينال بدرجة خاصّة من السرّ إلّا بما هو معادل للحكمة و الأدب، و هكذا.
الثانى: أنّ الطهارة تتمثّل بصور الملائكة العلميّة أو العمليّة ذوات تقديس و تسبيح و تكبير.
الثالث: أنّ الطهارة يكتب عليها و توضع تحت العرش.
الرابع: أنّ الطهارة قد تنزّلت من فعل آدم- عليه السّلام- فى الجنّة و تطهّره من تلک الخطيئة.
الخامس: أنّ الذنب ناقض للوضوء و ناقص للطهارة باطنا و إن لم يكن كذلک ظاهرا فى صناعة الفقه.
السادس: أنّ كيفيّة الوضوء و تحصيل الطهارة به قد قرّرت فى المعراج.
السابع: أنّ الإخلاص المحض هو أن لا يشاهد الإنسان المخلص غير اللّه سبحانه، و هذا هو كمال التوحيد كما قال أمير الموحّدين عليه السّلام «. و كمال توحيده الإخلاص له» أى: إخلاص الوجود كلّه له «و كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه.» «1» أى: نفى الصفات الزائدة عنه تعالى.
الثامن: أنّ الأمر فى الطهارة الترابيّة كالمائيّة سرّا و حكمة و أدبا.
و إذ قد انكشف لک بعض أسرار شطر من مقدّمات الصلاة فى الفاتحة حان إنجاز الوعد فى بيان بعض أسرار نفس الصلاة فى صلاة كافلة لنبذ من بطونها

---

(1) نهج البلاغة: الخطبة «1».

و حكمها و آدابها، بعد التنبّه بأنّ الأصل هو السرّ، و أنّ الحكمة و الأدب من

الفروع الّتى ينال بها الأصل و هو السرّ.
و ليعلم: أنّ تبيين الأسرار الكونيّة و إن كان صعبا و لكنّه ليس بمستصعب، حيث إنّ كلّ واحد منها أمر تكوينىّ، و إرجاع الأمور الحقيقيّة بعضها إلى بعض نزولا أو صعودا، و جعل بعضها سرّا لبعض ليس فيه كثير غموض، و أنّ النيل و الوصول إلى ذلک مستصعب، إنّما الكلام فى تبيين الأسرار الاعتباريّة، بأن يبيّن ما هو السرّ للأمر الاعتبارىّ، إذ الاعتبارىّ لا مجال له فى سوق التكوين، كما أنّ الأمر التكوينىّ أجلّ من أن يجعل فى مساق الاعتبار، مع أنّ الأمور العباديّة اعتباريّة لها أسرار تكوينيّة.
و الذى يعالج به هذا العويص هو: أنّ الإنسان جامع للتكوين و الاعتبار، حيث إنّه موجود تكوينىّ و له قوى و شئون حقيقيّة، و له أيضا قدرة الاعتبار، بل يعيش و يحيى فى غير واحد من مناطق الاعتبار، فلو أريد الجمع بين الحقيقة و الاعتبار فالإنسان نعم المجمع، كما أنّه نعم الجامع. فلو أريد تنزّل الأمر الحقيقىّ إلى الاعتبار أمكن أن يكون ذلک فى حيطة الإنسان، كما أنّه لو أريد تصعّد الاعتبار إلى الحقيقة تيسّر ذلک فى منطقة الإنسان، و الغرض: أنّ الإنسان سور باطنه التكوين و ظاهره التشريع.
و ليتنبّه بأنّ الأمر الاعتبارىّ- كالطهارة، و الصلاة و نحو ذلک- ممّا له حكم فقهىّ ليس بعرض، كما أنّه ليس بجوهر؛ لأنّ ذلک كلّه من أحكام الموجود الحقيقىّ، و الأمر الاعتبارىّ ليس بموجود حقيقىّ فلا يوصف بالعرضيّة و الجوهريّة.
و لا مجال للقول بأنّ العرض فى الدنيا يصير جوهرا فى الآخرة، و أنّ الأعمال الاختياريّة من الطاعات و المعاصى أعراض فى الدنيا و جواهر فى الآخرة، إذ العناوين الاعتباريّة الّتى توصف بالطاعة أو العصيان ليست بموجود حقيقىّ.
و أمّا الحركات الخارجيّة: من القيام و القعود و نحو ذلک فما لم يطرأ على شىء منها عنوان اعتبارىّ لا توصف بالطاعة أو المعصية.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 21
و الحاصل: أنّ الموجود الحقيقىّ و إن يوصف بالعرضيّة أو الجوهريّة و لكنّه ليس بطاعة و لا عصيان، و الموجود الاعتبارىّ الموصوف بشىء منهما لا يوصف بالعرضيّة و لا بالجوهريّة، فعليه لا مجال للقول بنسبيّة العرضيّة و الجوهريّة.
نعم، يمكن أن يكون الشىء الواحد جوهرا بالحمل الأوّلىّ، و عرضا بالحمل الشائع كما قيل فى حلّ صعوبة الوجود الذهنىّ. كما أنّه يمكن أن يصير الوجود العرضىّ من شئون الجوهر بالحركة الجوهريّة، فيصير الحال ملكة، ثمّ تصير الملكة فصلا مقوّما جوهريا كما قرّر فى موطنه، و لكن لا مساس لشىء من ذلک بكون الطاعة أو المعصية عرضا فى الدنيا و جوهرا فى الآخرة. و الغرض: أنّ الوصف النفسانىّ يمكن أن يكون عرضا فى نشأة و

جوهرا فی نشأة اخری، و لکنّ العمل الاعتباریّ خارج عن المقال.
و لیلفت النظر إلی أنّ السرّ أمر نسبیّ لا نفسیّ، یعنی: أنّ السرّ لا یکون سرّا مطلقا حتّی بلحاظ نفسه، کما أنّ الغیب أیضا کذلک، إذ الغیب المطلق و کذا السرّ المطلق الذی هو اللّه سبحانه لا یکون غیبا و لا سرّا لنفسه و إن کانت ذاته سرّا لصفاته، و أمّ الأسماء سرّا لسائرها، و الأسماء الذاتیّة سرّا للفعلیّة منها.، و هذه النکتة ینبغی أن تذکر فی المدخل.
فإذا تقرّر لدیک أنّ سرّ الصلاة کغیرها من العبادات کان موجودا فی القوس النزولیّ، و سیتمثّل تکوینا فی القوس الصعودیّ، و إنّما لها من الوجود الاعتباریّ المحفوف بالتکوینین فی نشأة الاعتبار، و تبیّن أنّ السرّ لا یختصّ بنفس الصلاة، بل یعمّ مقدّماتها و مؤخّراتها، و قد مضی نبذ ممّا یرجع الی مقدّماتها،

فلنأخذ فى إسرارها من الافتتاح إلى الاختتام فى طىّ صلات عديدة بعونه تعالى.

اشارة

أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 22

و ليعلم: أنّ صورة الصلاة واحدة يشترک فيها المصلّون، و لكنّ سيرتها و سرّها متفاوت، و لذا يتفاوت المصلّون، كما روى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: «أنّ الرجلين من أمّتى يقومان فى الصلاة و ركوعهما و سجودهما واحد، و أنّ ما بين صلاتيهما مثل ما بين السماء و الأرض» «1»، و المهمّ هو: التفاوت فى أدب الصلاة المتفرّع على حكمتها المعادلة لسرّها. و حيث إنّ الصلاة بما لها من الآداب قد شرّعت فى المعراج و كان السرّ هنالک متجلّيا فعند الالتفات الى ما فى المعراج يتبيّن غير واحد من إسرارها.
و قد روى عن أبى الحسن موسى بن جعفر- عليهما السّلام- علّة للتكبيرات الافتتاحيّة، و هى: «أنّ النبىّ- صلّى اللّه عليه و آله- لمّا أسرى به الى السماء قطع سبعة حجب، فكبّر عند كلّ حجاب تكبيرة فأوصله اللّه- عزّ و جلّ- بذلک إلى منتهى الكرامة» «2». و ليعلم: أنّ الحجاب قد يكون مظلما، و قد يكون نورانيّا، و الحجاب المظلم هو الموجود المادّىّ و ما يتعلّق به، و الحجاب النورىّ هو الموجود النورىّ الذى له نور قاهر مانع عن إدراكه أو إدراک ما وراءه، و السالک إذا ارتفع عن المادّة و شئونها و تعالى عن الموجود النورىّ القاهر تيسّر له إدراک ذلک الحجاب و نيل

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 31، عن عوالى اللئالى.
(2) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 59، عن من لا يحضره الفقيه.

ما وراءه، و هذا هو معنى خرق الحجاب؛ لأنّ خرق كلّ حجاب بحسبه.
و حيث إنّ المعراج كان فى ساحة النور و قرب الجوار فلا حجاب هناک إلّا الحجاب النورىّ، و لا يخرق الحجاب النورىّ إلّا بالنور المسيطر، و لمّا كان النور الحاجب هنالک أمرا موجودا تكوينيّا فلا بدّ و أن يكون خارقة أيضا أمرا موجودا تكوينيّا لا تناله يد الجعل الاعتبارىّ.
و لمّا كان التكبير هنالک خارقا للحجاب النورىّ فله- أى: للتكبير- حقيقة عينيّة تقهر ما دونها، و حيث إنّ تلک الحجب كانت سبعة، و كانت طوليّة لا عرضيّة، و كلّما انخرق حجاب حصل قرب لم يكن حاصلا قبله، فبين تلک التكبيرات السبع الخارقة أيضا ميز طولىّ لا عرضىّ، فكلّما كبّر المصلّى تكبيرة يقرب إلى مولاه فى المناجاة قربا لم يكن حاصلا قبله، فدرجات القرب أيضا طوليّة.
و لمّا كان الحجاب موجودا خارجيّا، و خرقه أيضا موجودا عينيّا، و قد تبيّن أنّ النظام العينىّ هو النظام العلّىّ و المعلولىّ، و قد استقرّ فى موطنه أنّ العلّة لا بدّ و أن تكون أقوى من معلولها فعليه لا يمكن أن يؤثّر التلفّظ

بالتكبير الذى يكون أمرا اعتباريّا، أو يؤثّر تصوّره الذى هو الوجود الذهنىّ له فى موجود خارجىّ عال، بل المؤثّر فيه هو سرّ التكبير الذى هو موجود عينىّ و تكوينىّ، و لا ينال ذلک السّر إلّا بأدب الصلاة الحاصل بحضور القلب المستتبع لخضوع الجوانح و خشوع الجوارح.
و ليس ما ورد فى المعراج مختصّا بتلک الحال أو مخصوصا بالرسول صلّى اللّه عليه و آله، بل يعمّ غير تلک الحال أيضا، كما يعمّ غير الرسول صلّى اللّه عليه و آله، و ذلک لما روى جابر بن عبد اللّه الأنصارىّ قال: كنت مع مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام، فرأى رجلا قائماً يصلّى، فقال له: يا هذا، أ تعرف تأويل الصلاة؟
فقال: يا مولاى، و هل للصلاة تأويل غير العبادة؟ فقال: إى و الذى بعث محمّدا بالنبوّة، ما بعث اللّه نبيّه- صلّى اللّه عليه و آله- بأمر من الأمور إلّا و له تشابه و تأويل و تنزيل، و كلّ ذلک يدلّ على التعبّد، فقال له: علّمنى ما هو يا مولاى؟ فقال:
تأويل تكبيرتک الأولى الى إحرامک: أن تخطر فى نفسک إذا قلت: اللّه أكبر من أن

يوصف بقيام أو قعود، و فى الثانية أن يوصف بحركة أو جمود، و فى الثالثة أن يوصف بجسم أو يشبّه بشبه أو يقاس بقياس، و تخطر فى الرابعة أن تحلّه الأعراض أو تؤلمه الأمراض، و تخطر فى الخامسة أن يوصف بجوهر أو بعرض، أو يحلّ شيئا أو يحلّ فيه شىء، و تخطر فى السادسة أن يجوز عليه ما يجوز على المحدثين من الزوال و الانتقال و التغيّر من حال الى حال، و تخطر فى السابعة أن تحلّه الحواس الخمس. ثمّ تأويل مدّ عنقک فى الركوع: تخطر فى نفسک: آمنت بک و لو ضربت عنقى. ثمّ تأويل رفع رأسک من الركوع إذا قلت: سمع اللّه لمن حمده الحمد للّه ربّ العالمين تأويله: الذى أخرجنى من العدم الى الوجود، و تأويل السجدة الأولى: أن تخطر فى نفسک و أنت ساجد: منها خلقتنى، و رفع رأسک تأويله: و منها أخرجتنى، و السجدة الثانية: و فيها تعيدنى، و رفع رأسک تخطر بقلبک: و منها تخرجنى تارة أخرى، و تأويل قعودک على جانبک الأيسر و رفع رجلک اليمنى و طرحک على اليسرى تخطر بقلبک: اللهمّ إنّى أقمت الحقّ و أمتّ الباطل، و تأويل تشهّدک: تجديد الإيمان و معاودة الإسلام، و الإقرار بالبعث بعد الموت، و تأويل قراءة التحيّات: تمجيدات الربّ سبحانه و تعظيمه عمّا قال الظالمون و نعته الملحدون، و تأويل قولک: السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته: ترحّم عن اللّه سبحانه، فمعناها هذه: أمان لكم من عذاب يوم القيامة. ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «من لم يعلم تأويل صلاته هكذا فهى خداج» «1»، أى: ناقصة.
فقه الحديث: بأنّ الأوصاف الجماليّة للّه عين الأوصاف الجلالية للّه، إذ

التكبير و إن كان من الأوصاف الثبوتيّة الجماليّة و لكن أولها إلى الوصف السلبىّ الجلالىّ كالعكس؛ لأنّ معنى التكبير: هو تنزيه اللّه عن أوصاف الممكن. و لا مرية فى أنّ الأوصاف الإلهيّة أمر تكوينىّ خارجىّ، و تلك الأوصاف الّتى قد عبّر بأنّها تأويلات للتكبيرات السبع قد تجلّت و تنزّلت بصور تلك التكبيرات الافتتاحيّة،

_____

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 61.

فسّرها و تأويلها أمر حقيقىّ لا اعتبارىّ، و على المصلّى أن يتأدّب بآداب الصلاة بعد معرفة حكمتها و هدفها السامى حتّى ينال ذلک التأويل، تنبّها بأنّ تعدّد تلک التكبيرات ليس من باب التأكيد، بل كلّ منها يفيد معنى خاصّا غير ما يفيده الآخر، كما أنّ تعدّد كلمة «وحده وحده وحده» ليس للتأكيد، بل كلّ واحد منها ناظر إلى مرتبة خاصّة من التوحيد الذاتىّ و الوصفىّ و الفعلىّ. و أما سائر ما اشتمل عليه هذا الحديث من أسرار الركوع و السجود و. فسيأتى البحث عنه فى موطنه الخاصّ.

و الغرض: أنّ للتكبيرات الافتتاحية أسرارا، و أنّ تلک الأسرار قد تحقّقت فى المعراج، و أنّها قد تجلّت و تنزّلت الى عالم التشريع و الاعتبار، و أنّها لا تختصّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، بل تعمّ كلّ مكلّف يصلّى، و أنّ صلاة من لم يعلم تأويل تلک التكبيرات ناقصة.

ثمّ إنّه قد ورد للتكبيرات السبع الافتتاحيّة أيضا أسباب و جهات ملكيّة لا تنافى ما تقدّم من الأسرار الملكوتيّة؛ لأنّها فى طولها لا فى عرضها، و ذلک الأمر الملكىّ بأنّ رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- كان فى الصلاة و الى جانبه الحسين ابن علىّ عليهما السّلام، فكبّر رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- فلم يحر الحسين التكبير، ثمّ كبّر رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- فلم يحر الحسين- عليه السلام- التكبير، ثم كبّر رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- فلم يحر الحسين- عليه السلام- التكبير، و لم يزل رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- فلم يحر الحسين- عليه السلام- التكبير، فلم يحر حتّى أكمل- صلّى اللّه عليه و آله- يكبّر و يعالج الحسين- عليه السلام- التكبير فلم يحر حتّى أكمل- صلّى اللّه عليه و آله- سبع تكبيرات، فأحار الحسين- عليه السلام- التكبير فى السابعة، فقال أبو عبد اللّه: فصارت سنّة «1».

و الشاهد على عدم المنافاة هو: أنّ المعراج كان بمكّة قبل ميلاد الحسين بن علىّ عليهما السّلام، و ما نقل من قصّة الحسين- عليه السلام- متأخّر عمّا وقع فى المعراج

_____

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 58، عن العلل و التهذيب.

وجودا، و كذا متأخّر عنه زمانا، و ليس فى عرضه وجودا و لا زمانا، فعند عدم الاتّحاد الوجودىّ و لا الزمانىّ فلا تناقض؛ لإمكان الاجتماع و صدق كلا الأمرين.
و هكذا لا ينافى ما ورد فى السبب التشريعىّ للتكبيرات الافتتاحيّة، و ذلك الأمر التشريعىّ هو: أنّه ذكر الفضل بن شاذان عن الرضا- عليه السلام- علّة أخرى، و هى: أنّه إنّما صارت التكبيرات فى أوّل الصلاة سبعا؛ لأنّ أصل الصلاة ركعتان، و استفتاحها بسبع تكبيرات: تكبيرة الافتتاح، و تكبيرة الركوع، و تكبيرتى السجدتين، و تكبيرة الركوع فى الثانية، و تكبيرتى السجدتين، فإذا كبّر الإنسان فى أوّل صلاته سبع تكبيرات ثمّ نسى شيئا من تكبيرات الافتتاح من بعد أو سها عنها لم يدخل نقص فى صلاته «1».
و الدليل على عدم التنافى هو: أنّ أحد السببين تكوينىّ سابق فى المعراج، و الآخر تشريعىّ لاحق التنزّل فى عالم الاعتبار، و لا غرو فى استناد كلّ منهما الى ما له من المبادئ الخاصّة، و أنّ المبدأ الأصيل فى ذلك هو: التكوين المتحقّق فى المعراج لخرق الحجب النوريّة السبعة.
و حيث إنّ الأساس هو التوحيد، و اللازم هو خرق الحجب المانعة عن شهوده، و التكبير سبب قوىّ فى خرقها لذا يبتدأ الأذان و كذا الإقامة بالتكبير، و يختتمان بالتوحيد، و بالتأمّل فى تأثير التكبير يظهر سرّ تعدّده فى بدء الأذان، و كذا الإقامة، و لعلّ سرّ تعدّد التوحيد فى ختم الأذان و وحدته فى ختام الإقامة هو البلوغ إلى أقصى مراتب التوحيد الذى لا مجال للتعدّد هنالک؛ لانطواء الأسماء الأفعاليّة فى الأسماء الصفاتيّة، و انقهار الأسماء الصفاتيّة فى الهويّة البحتة، فتدبّره.
فتبيّن فى هذه الصلة أمور:
الأوّل: أنّ روح التكبير هو التسبيح؛ لأنّ معناه هو: أنّ اللّه أجلّ من أن يحسّ أو يتخيّل أو يتوهّم أو يعقل، إذ ليس جسما، و لا جسمانيّا، و لا صورة جزئيّة، و لا

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 59، عن العلل.

معنى جزئيّا، و لا مفهوما كلّيّا. و كذا أجلّ من أن يشاهد كنهه، إذ الأزلىّ الأبدىّ السرمدىّ أعلى من أن يكتنهه أحد، فهو تعالى أجلّ من أن يعرف كنهه، فلذا يكون عرفانه مصحوبا بالاعتراف بعدم الاكتناه؛ لأنّ اللّه تعالى و إن لم يحجب العقول عن واجب معرفته و لكنّه لم يطلعها على تحديد صفته، كما أفاده سيّد الموحّدين علىّ بن أبى طالب عليه السلام «1».
الثانى: أنّ الحجاب ظلمانىّ و نورانىّ.
الثالث: أنّ سرّ التكبير هو خرق الحجاب.
الرابع: أنّ سرّ تعدّده سبعا هو كون الحجب سبعة.

الخامس: أنّ السبب الملكىّ لتعدّد التكبير لا ينافى السرّ الملكوتىّ له، كما أنّ السبب التشريعىّ له لا ينافى السرّ التكوينىّ له.
السادس: أنّ ذلک السرّ قد تحقّق فى المعراج بمعنى أنّه ليس الكلام فى أنّ للتكبير تأثيرا فى رفع الحجاب فقط، بل فى أنّ الحجاب قد انخرق خارجا بتكبير رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- فى المعراج.
السابع: أنّ ذلک السرّ لا يختصّ بالمعراج، و لا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، بل يعمّ غير المعراج، و يشمل غير الرسول- صلّى اللّه عليه و آله- أيضا بحيث تكون صلاة من لم يعلم ذلک السرّ و لم ينله ناقصة، و من هنا يظهر كون «الصلاة معراج المؤمن»، فكلّ من صلّى كصلاة رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- فقد عرج به، كما أنّ كلّ من توضّأ مثل وضوء أمير المؤمنين- عليه السلام- و قال مثل قوله- عليه السلام- حال الغسل و المسح المعهودين فى الوضوء يخلق اللّه تعالى بكلّ قطرة من وضوئه ملكا يقدّسه و يسبّحه و يكبّره و.
الثامن: أنّ الأذان و كذا الإقامة مبدوء بالتكبير و مختوم بالتوحيد، و قد كرّر فى كلّ واحد منهما التكبير لخرق أىّ حجاب فرض.

_____

(1) نهج البلاغة: الخطبة «49»: «لم يطلع العقول على تحديد صفته، و لم يحجبها عن واجب معرفته».

التاسع: أنّ الرافع للحجاب النورىّ هو باطن التكبير و سرّه الذى يكون أمرا تكوينيّا لا اعتباريّا، و إلّا أمكن صدوره من كلّ من أراده من الملک و الإنسان، مع أنّه لم يكن فى وسع بعض الملائكة الكرام، فضلا عن الإنسان العادىّ، و إلّا لارتفع جبرئيل- عليه السلام- الى ما ارتفع به الرسول صلّى اللّه عليه و آله، كما أنّ الوضوء أيضا كان كذلک، حيث ورد فى المعراج: «. ثمّ امسح رأسک.،
فإنّى أوطئک موطئا لم يطأه أحد غيرک.؛ لظهور تمشّى الوضوء الاعتبارىّ من أىّ إنسان متوضّىء مصلّ.
العاشر: أنّ اللازم قبل الصلاة هو انخراق الحجاب بتمامه، و هو لا ينخرق إلّا بعدم شهود الإنسان المريد للمناجاة مع السرّ أحدا سواه حتّى نفسه، و شهوده، و هناک أسرار مطويّة تتبيّن لمن تأمّل بعض ما فى الباب من النصوص. و ما ورد فى شأن المتّقين من أنّه: «عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم» «1» فهو و إن يوجب تعظيم اللّه تعالى و تكبيره لكنّ التكبير هناک من أوصاف الجمال، حيث إنّهم رأوا أنّ غير اللّه تعالى موجود، و لكنّه صغير، و اللّه تعالى موجود عظيم و كبير، و أين هو من التكبير الذى مغزاه التسبيح كما تقدّم و الشاهد على أنّ هذا المقام ليس هو البالغ شأو السرّ: هو أنّ هؤلاء المتّقين لم يبلغوا بعد مقام الشهود التامّ، بل

كانوا فى مقام الإحسان لا اليقين، حيث قال- عليه السلام- فى شأنهم: «فهم و الجنّة كمن قد رآها فهم فيها منعّمون، و هم و النار كمن قد رآها فهم فيها معذّبون» «2»، يعنى: أنّهم كانوا فى مقام «كأنّ» لا فى مقام «أنّ».
و أمّا من يعظّم غير اللّه و يكبّره فى نفسه فهو ممّن لا يتمشّى منه التكبير الحقيقىّ و إن يتلفّظ به فى الصلاة أو غيرها.

_____

(1) نهج البلاغة: الخطبة «193».
(2) نهج البلاغة: الخطبة «193».

و المراد من النيّة هنا ليس هو قصد العنوان: كصلاة الظهر أو العصر فى الأمر العبادىّ، و كأداء الدين أو الهبة فى الأمر المعاملىّ. كما أنّه ليس المراد منها هو قصد الوجه: كالوجوب أو الندب، بل المراد منها هنا: هو خصوص قصد القربة من اللّه سبحانه؛ لأنّ هذا القصد هو المدار فى البحث العرفانىّ و الكلامىّ و الخلقىّ الناظر حول صلاح القلب و فلاحه. و قد ورد فى شأنها و الاهتمام بها نصوص كثيرة من الآيات و الأحاديث، نحو قوله تعالى «لٰا تُبْطِلُوا صَدَقٰاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذىٰ كَالَّذِى يُنْفِقُ مٰالَهُ رِئٰاءَ النّٰاسِ» «1» و قوله تعالى «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوٰالَهُمُ ابْتِغٰاءَ مَرْضٰاتِ اللّٰهِ وَ تَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصٰابَهٰا وٰابِلٌ.» «2» و قوله تعالى:
«قُلْ إِنَّ صَلاٰتِى وَ نُسُكِى وَ مَحْيٰاىَ وَ مَمٰاتِى لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ. لاٰ شَرِيكَ لَهُ وَ بِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» «3».
و نحو ما روى عن أهل البيت عليهم السّلام: عن علىّ بن أبى طالب- عليه السّلام- قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «لا عمل إلّا بنيّة، و لا عبادة إلّا بيقين، و لا كرم إلّا بالتقوى» «4». و بهذا المضمون روايات أخر لا احتياج

_____
(1) البقرة: 264 و 265.
(2) البقرة: 264 و 265.
(3) الأنعام: 162 و 163.
(4) جامع أحاديث الشيعة: ج 1 ص 357.

إلى نقلها؛ لكثرتها و معروفيّتها، و لا نصيب للعامل إلّا بنيّته و مقدارها و كيفيّتها.
و الشاهد عليه ما روى عن رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- أنّه قال: «إنّما الأعمال بالنيّات، و لكلّ امرئ ما نوى، فمن غزا ابتغاء ما عند اللّه فقد وقع أجره على اللّه، و من غزا يريد عرض الدنيا أو نوى عقالا لم يكن له إلّا ما نوى» «1». و فى وصيّة رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- لأبىّ ذرّ: «و ليكن لك فى كلّ شىء نيّة، حتّى فى النوم و الأكل» «2».
فالنيّة بمعنى: قصد التقرّب من اللّه سبحانه هى روح العمل الذى بها يحيى و بدونها يموت، و لا أثر للميّت، و بها تصحّ العبادة، و بدونها تبطل. و حيث إنّ للنيّة درجات فللصحّة مراتب و إن كانت مشتركة فى أصل الامتثال، و سقوط الإعادة أو القضاء و لكن لكلّ من تلك المراتب ثواب يختصّ بها، و قرب يحصل منها، و لا يحصل ذلك الثواب أو القرب بدونها.

و حيث إنّ المواقف الهامّة يوم القيامة ثلاثة: من النار، و الجنّة، و الرضوان- كما أشار إليه قوله تعالى «وَ فِی الْآخِرَةِ عَذٰابٌ شَدِیدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللّٰهِ وَ رِضْوٰانٌ» «3»، و أنّ الشؤون العمليّة الرئيسيّة للنفس الإنسانيّة ثلاثة أيضا: من الغضب الدافع للمنافى، و الشهوة الجاذبة للملائم، و العقل العملىّ الشائق للكمال التامّ المجرّد المعقول- فلذا صارت العبادة ثلاثة أقسام، و صار العبّاد ثلاثة «4»، حيث إنّ قوما يعبدون اللّه سبحانه خوفا من النار و تلک عبادة العبيد، و إنّ قوما يعبدونه تعالى شوقا إلى الجنّة و تلک عبادة الحرصاء، و إنّ قوما يعبدونه تعالى حبّا له تعالى و تلک عبادة الأحرار الكرام.
و كلّ واحدة من هذه العبادات الثلاثة صحيحة و إن كانت للصحّة مراتب فى الثواب حسبما أشير إليه؛ لأنّ كلّ واحدة منها للّه تعالى لا لغيره محضا، و لا له و لغيره

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 1 ص 358.
(2) المصدر نفسه: ص 359.
(3) الحديد: 20.
(4) جامع أحاديث الشيعة: ج 1 ص 373.

من النجاة من النار، أو الالتذاذ بالجنّة بالشركة، و الامتياز بينها بأنّ الخائف لا يعبد إلّا اللّه، و حيث إنّه لم يتحرّر عن رقّيّة الغضب لا يعرف أن يطلب من معبوده شيئا عدا النجاة من النار، و كذا المشتهى لا يعبد إلّا اللّه، و لمّا لم يتحرّر عن قيد الشهوة لا يفهم أن يتمنّى من مولاه المعبود شيئا وراء الفوز بالجنّة. و أمّا العاقل الشائق لرضا مولاه فهو حرّ يعرف ما يريد.
و الدليل على صحّة عبادة القسم الأوّل و كذا الثانى هو: أنّ النصّ قد عبّر عن فعل هؤلاء بالعبادة، و عنهم بالعباد، و أنّهم عبدوا اللّه، و أنّ عبادة القسم الثالث- أى: عبادة الأحرار- أفضل العبادات، فلو لم تكن عبادة غير الأحرار صحيحة و فاضلة لم تكن عبادة الأحرار أفضل؛ و لا شاهد هنا على أنّ لفظ الأفضل للتعيّن لا للترجّح.
و الحكماء الأحرار الّذين تأسّوا بمواليهم المعصومين- عليهم السّلام- فى العبادة و لم يتحرّروا؟؟؟ من عبادتهم سوى رضا اللّه تعالى قد حكموا بصحّة عبادة من لا يريد فى عبادته من اللّه شيئا سوى رضوانه: كالنجاة من النار، كما قال الشيخ الرئيس قدّس سرّه: (و المستحلّ توسيط الحقّ مرحوم) «1»، و لم يقل بأنّه محروم.
و أشار سيّدنا الأستاذ العلّامة الطباطبائى- قدّس سرّه- فى رسالة الولاية إلى قبول عبادة هؤلاء بالتفضّل الإلهىّ و إن قصّر هؤلاء فى المعرفة و القربة.
و لو كان قصد شىء سوى اللّه مبطلا للعبادة لكانت عبادة من قصد الشكر

و تحصيل الرضا و المحبّة أيضا باطلة؛ لأنّ ذلک کلّه خارج عن الهويّة المطلقة الواجبيّة. فالحقّ هو ما أفاده الشيخ البهائىّ- قدّس سرّه- فى الأربعين «2» من صحّة عبادة هؤلاء.
و قال العلم و الحجّة، الحاج الميرزا جواد آقا الملکىّ التبريزىّ قدّس سرّه: إنّ

_____

(1) الإشارات و التنبيهات: النمط التاسع.
(2) حديث 37 ص 225- 228.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 32
القول ببطلان العبادة من جهة خوف العقاب أو طمع الجنّة و إن صدر عن بعض الأجلّة و لكنّه صادر عن الغفلة، و لا غرو فى وقوع أمثال هذه الغفلات و العثرات من الأجلّة و الأعيان، لحكمة إلهيّة فى ابتلائهم بأمثاله «1».
أقول: لعلّ المراد من بعض الأجلّة هو: رضى الدين علىّ بن طاوس- قدّس سرّه- حسبما نقل الشيخ البهائىّ- قدّس سرّه- عنه فى الأربعين «2».
و الحاصل: أنّ نيّة هؤلاء خالصة غير مشوبة، و أنّهم يعبدون اللّه تعالى و لا يعبدون غيره أصلا، لا بالاستقلال، و لا بالمشاركة، و لا بالمظاهرة، و لكنّهم لقصور معرفتهم لا يدرون ما يطلبون من معبودهم، أعلى من انفكاک عن النار أو الفوز بالجنّة، و كم فرق بين هذا الأمر و بين أنّه لو لا الخوف أو الفوز لم تكن هناک عبادة أصلا؛ لخروجه عن الكلام رأسا! و ما قال بحر العلوم- قدّس سرّه- فى درّته النجفيّة:
و كلّ ما ضمّ إلى التقرّب من غاية يبطله فى الأقرب
فالمراد من الضميمة هناک: ما هو المبحوث عنه فى الفقه: كالتبرّد و نحوه فى الوضوء، لا ما هو المعنون هنا، و لقد تفطّن الجامع بين الفقهين النراقىّ- قدّس سرّه- فى الفتوى بصحّة العبادة المقصود بها النجاة من النار، أو الفوز بالجنة، و تزييف أدلّة القائلين بالبطلان، فراجع المستند «3».
قد تخلّل بعض المباحث الكلاميّة أو الفقهيّة فى الأثناء، و هو خارج عن مقصد الرسالة الباحثة عن سرّ الصلاة، و الغرض: أنّ النيّة بمعنى قصد القربة: روح العمل و قلبه، و أفضل من العمل؛ لأنّ حياته بها، كما يستفاد ممّا رواه الكلينىّ- رحمه اللّه- بإسناده، عن سفيان بن عيينة، عن أبى عبد اللّه- عليه السّلام- فى قول اللّه عزّ و جلّ «لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» قال: ليس يعنى: أكثركم عملا، و لكن

_____

(1) المراقبات: ص 98.
(2) ص 226.
(3) مستند الشيعة: ج 1 ص 77.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 33

أصوبكم عملا، و إنّما الإصابة خشية اللّه عزّ و جلّ، و النيّة الصادقة و الحسنة، ثمّ قال: الإبقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من العمل، و العمل الخالص الذى لا تريد أن يحمدک عليه أحد إلّا اللّه عزّ و جلّ، و النيّة أفضل، ألا و إنّ النيّة هى العمل، ثمّ تلا قوله تعالى «كُلٌّ يَعْمَلُ عَلىٰ شٰاكِلَتِهِ» يعنى: على نيّته «1». و من هنا يظهر الجمع بين الأصل الحاكم بأنّ: «أفضل الأعمال أحمزها» «2»، و بين الأصل الحاكم بأنّ: «نيّة المؤمن خير من عمله»؛ لأنّ النيّة حيث كانت روح العمل و لبّه و مغزاه كانت أفضل منه، كما أنّها لا بدّ و أن تكون خالصة، إذ الرياء المتمشّى فى العمل لا يتطرّق إليه إلّا من طريق النيّة فحسب، و تحصيل الإخلاص فى النيّة أحمز و أصعب، لذا تكون أفضل من العمل.
و أمّا سرّ كون نيّة الكافر شرّا من عمله فلأنّ النيّة هى الأصل كما مرّ، و الأصل الذى به يتقوّم الفرع و عليه يتّكئ الغصن، و إليه يرجع ما عداه أهمّ، سواء فى طرف الخير أو الشرّ.
و النيّة لمّا كانت أمرا قلبيّا لا يطّلع الناس عليها لا يتطرّق إليها الرياء و السمعة و نحو ذلک؛ لخروجها عن مرأى الناس و مسمعهم، و العمل لكونه مرئيّا أو مسموعا قابل لأن يتسرّب إليه الرياء، و لذا قد علّل فى العلل حسبما رواه زيد الشحّام، عن أبى عبد اللّه- عليه السّلام- كون «نيّة المؤمن خير من عمله» «3» بذلک، و لكنّ التأمّل فيما تقدّم يوضّح المراد، إذ الرياء لا يسرى إلى العمل إلّا من طريق النيّة، و هى- أى:
النيّة- لمّا كانت مستورة عن أعين الناس و إسماعهم تنزّل بلباس العمل و تكتسيه، حتّى تصير مرئيّة أو مسموعة.
و لمّا كان العقل العملىّ- بما له من الشؤون و الآثار: كالإرادة و الإخلاص و نحو ذلک- نور يعبد به الرحمن و يكتسب به الجنان فإذا كان ذلک النور مضيئا بلا انطفاء و لا انخساف حصل الإيمان و الإخلاص، و إذا كان منخسفا بطوع الهوى حصل

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 1 ص 360 و 366.
(2) مجمع البحرين: ج 4 ص 16.
(3) جامع أحاديث الشيعة: ج 1 ص 360 و 366.

الكفر أو الرياء، كما يستفاد ممّا رواه الكلينى رحمه اللّه، عن أبى عبد اللّه- عليه السّلام- أنّه قال: ليس بين الإيمان و الكفر إلّا قلّة العقل، قيل: و كيف ذاک يا ابن رسول اللّه؟ قال عليه السّلام: إنّ العبد يرفع رغبته إلى مخلوق فلو أخلص نيّته للّه لآتاه اللّه الذى يريد فى أسرع من ذلک «1».
و قريب منه ما رواه البرقىّ، عن أبى جعفر- عليه السّلام- أنّه قال: ما بين الحقّ و الباطل إلّا قلّة العقل، قيل: و كيف ذلک يا ابن رسول اللّه؟ قال: إنّ

العبد يعمل العمل الذى هو للّه رضا فيريد به غير اللّه، فلو أنّه أخلص للّه لجاءه الذى يريد فى أسرع من ذلک «2».
ثمّ إنّ العقل النظرىّ هو الفاروق بين الحقّ و الباطل النظريّين، و العقل العملىّ هو المائز بين العملىّ منهما، فالمخلص عاقل، و من ليس بعاقل فليس بمخلص فيرائى، كما أنّ العاقل ليس بمراء، و المرائى ليس بعاقل.
و الذى يدور مداره الكلام هو: ما رواه أبو الفتوح الرازىّ فى تفسيره، عن حذيفة ابن اليمان قال: سألت رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- عن الإخلاص؟ فقال: سألته عن جبرئيل؟ فقال: سألته عن اللّه تعالى؟ فقال: الإخلاص سرّ من سرّى أودعه فى قلب من أحببته «3».
و ذلک لأنّ العبد السالک إذا أحبّ اللّه سبحانه يتّبع ما أنزل إليه بلسان حبيبه- أى: محبوبه- و هو الرسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله، فإذا اتّبعه صار محبوبا للّه تعالى، إذ اتّباع المحبوب يورث المحبوبيّة كما قال تعالى «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّٰهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ» «4»، فإذا صار السالک الصالح محبوبا للّه تعالى فيدرج تحت مواعيد القرب الولائىّ، حيث إنّ اللّه تعالى قد وعد من تقرّب إليه بالنوافل و صار محبوبا له تعالى بأمور لا ينبغى الذهول عنها، نحو: كونه تعالى سمعا للعبد المتقرّب به

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 1 ص 374.
(2) المصدر نفسه: ص 375.
(3) المصدر نفسه: ص 375.
(4) آل عمران: 31.

يسمع، و بصرا له به يبصر، و.، و من تلک المواعيد هو ما يستفاد من حديث حذيفة: من «أنّ اللّه تعالى يودع سرّه- الذى هو الإخلاص- فى قلب محبوبه».
فالإخلاص الذى هو الأساس فى النيّة سرّ ملكوتىّ لا يناله إلّا من أحبّه اللّه، و لا يحبّ اللّه أحدا إلّا من تقرّب إليه بالنوافل، و باتّباع آثار حبيبه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، المتقرّب إليه تعالى بالنوافل كلّها، و الفرائض طرّها.
فللنيّة سرّ إلهىّ لا ينال إلّا بطىّ مراحل تكون النيّة فى بعضها حالا، و فى بعضها ملكة الى أن تنتهى إلى مرحلة الإخلاص الذى هو سرّ إلهىّ، و كما أنّ المحبّ للّه إنّما يصير محبوبا إذا اتّبع حبيبه فكذلک المخلص- بالكسر- إنّما يصير مخلصا- بالفتح- إذا اتّبع من استخلصه اللّه لنفسه فصار مخلصا- بالفتح- محضا، و للمخلص- بالفتح- أوصاف و أحكام و درجات، لعلّ أعلاها ما هو المستفاد من قوله تعالى «سُبْحٰانَ اللّٰهِ عَمّٰا يَصِفُونَ. إِلّٰا عِبٰادَ اللّٰهِ الْمُخْلَصِينَ» «1»، حيث دلّ على أنّه ليس لأحد أن يصف اللّه سبحانه إلّا العباد المخلصين، و أنّهم يعرفونه تعالى بما هو اللازم اللائق و إن لم

يكتنهوه، و كفى بذلک ذخرا و شرفا.
و ليعلم: أنّ الدارج بين أبناء الظاهر من النيّة ما هو الإخطار بالبال، أى: الذى ليس له إلّا وجود ذهنىّ، و هو كما قيل: نيّة بالحمل الأوّلىّ، و غفلة و ذهول بالحمل الشائع الصناعىّ. و أمّا نفس العمل الخارجىّ فصادر عادة لا عبادة، حيث إنّه لا أثر للوجود الذهنىّ، و لا بعث له، و إلّا لما تخلّله الشكّ و السهو، و الزيادة و النقيصة، و ما الى ذلک ممّا هو المبتلى به للناس، بل المهمّ فى النيّة هو: انبعاث الروح من العادة إلى العبادة بحيث لا يقرأ و لا يركع و لا يسجد فى الصلاة، و هكذا لا يغسل و لا يمسح فى الوضوء، و. إلّا ببعث ذلک الأمر القلبىّ، و هذا إنّما يتمشّى من قلب ليس فيه سوى اللّه، المعبّر عليه فى لسان النصوص «بالقلب السليم» كما رواه الكلينى- رحمه اللّه. قال: سألته عن قول اللّه عزّ و جلّ:

---

(1) الصافّات: 159 و 160.

«إِلّٰا مَنْ أَتَى اللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»؟ قال: القلب السليم: الذى يلقى ربّه و ليس فيه أحد سواه، قال: و كلّ قلب فيه شرک أو شكّ فهو ساقط، و إنّما أراد بالزهد فى الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة «1». و القطب الراوندىّ فى لبّ اللباب، عن النبىّ- صلّى اللّه عليه و آله- أنّه سئل، ما القلب السليم؟ فقال: «دين بلا شكّ و هوى، و عمل بلا سمعة و رياء» «2».
و إذا كان القلب و عاء لعدّة من الأهداف و الأغراض الّتى يجمعها حبّ الدنيا فكيف يكون العمل الصادر عنه للّه وحده؟ و حيث إنّ الإخلاص صعب الوصول فقد أمر بالزهد و نحوه لا لنفسه، بل لحصول ذلک الهدف السامى.
و الإخلاص بالمعنى الذى هو سرّ من أسرار اللّه ليس أمرا ذهنيّا حصوليّا، بل هو أمر عينىّ حضورىّ، فعليه يكون مقاما معلوما لدى اللّه سبحانه لا يتخطّاه إلّا من ارتدى برداء المحبّة، أى: كان محبوبا للّه بعد أن كان محبّا للّه تعالى.
و قد تقدّم: أنّ بين عبادة العبيد و عبادة الطمعاء (التجّار) و بين عبادة المحبّين الأحرار فرقا، فضلا عن عبادة المحبوبين، سيّما إذا بلغوا- أى: المحبوبون- مرتبة المخلصين- بالكسر- الّذين إذا جدّوا و اجتهدوا و هاجروا من غير اللّه إليه تعالى يستخلصهم اللّه لنفسه، فيصيرون مخلصين- بالفتح-، و هنا لک تتبيّن روح النيّة و سرّها الّتى هى روح العمل و سرّه، فالعمل حىّ بالنيّة، و هى تحيى بسرّها الذى هو الإخلاص، الذى هو سرّ من إسراره تعالى المودع فى قلب من أحبّه تعالى و لم يحبّ سواه، سواء نفسه أو غيره.
و ممّا ينبّه على أنّ النيّة هى روح العمل و أنّها أصل حاكم عليه هو ما قاله مولانا الصادق عليه السّلام: «ما ضعف بدن عمّا قويت عليه النيّة» «3»، لدلالته على أنّ العمل البدنىّ تابع للقصد القلبىّ وجودا و عدما، و قوّة و ضعفا، بحيث يدور العمل البدنىّ مدار النيّة فى جميع ما أشير إليه، حتّى أنّ

البدن الضعيف يقدر على العمل إذا قويت النيّة، كما أنّ البدن القوىّ يضعف عنه إذا ضعفت النّيّة،

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 1 ص 361.
(2) جامع أحاديث الشيعة: ج 1 ص 361.
(3) وسائل الشيعة: ج 1 ص 38 ح 14 باب 6.

فالإنسان بنيّته لا ببدنه، و هذا الحديث من غرر الأحاديث المأثورة عن أهل البيت عليهم السّلام، لتفسيره حدّ الإنسان بأنّه حيوان ناطق ناو، إذ لو لا النيّة الّتى هى السرّ المستودع لما بلغ الإنسان نصابه اللازم، فهو بعد غير بالغ.

و الشاهد الآخر على أصالة النيّة: أنّها إذا تحقّقت و قويت تكون الصلاة مناجاة مع اللّه، و معراجا للمصلّى، و إذا ضعفت و ذهل المصلّى عنها تفقد تلك الصلاة صبغة النجوى و يصير المصلّى مستحقّا للويل، كما قال تعالى «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ.

الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ ساٰهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرٰاؤُنَ. وَ يَمْنَعُونَ الْمٰاعُونَ» «1».

إنّ المصلّى الناوى الذى تكون نيّته خالصة لا يكون جزوعا و لا منوعا، بل هو ممّن فى ماله حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ «2»، و المصلّى الساهى الذى تكون نيّته مشوبة بالذهول يرائى و يمنع الماَعون، و كم فرق بينهما، و مدار الفرق إنّما هو النيّة فى الأوّل، و الذهول عنها فى الثانى، لا فعل الصلاة ظاهرا لاستوائها فى الحالين، و سيوافيک تفصيله فى الصلات القادمة.

فتبيّن فى هذه الصلة أمور:

الأوّل: الفرق بين النيّة بمعنى قصد القربة، و بين قصد العنوان.

الثانى: اهتمام الدين بالنيّة فى الكتاب و السنّة.

الثالث: أصالة النيّة و تبعيّة العمل.

الرابع: تثليث النيّة حسب تثليث مواقف القيامة.

الخامس: صحّة عبادة الخائف و الشائق كصحّة عبادة الشاكر و المحبّ.

السادس: الفرق بين البحث الكلامىّ و الفقهىّ، و بين البحث العرفانىّ الناظر إلى سرّ الصلاة.

السابع: طريق الجمع بين أفضليّة أحمز الأعمال، و بين كون النيّة خيرا من العمل.

---

(1) الماعون: 4- 7.
(2) راجع سورة المعارج: 20- 25.

الثامن: الفصل بين الإيمان و الكفر إنّما هو قلّة العقل أو زواله.

التاسع: أنّ الإخلاص سرّ إلهىّ يودعه اللّه فى قلب محبوبه.

العاشر: ما هو الفرق بين المخلص- بالكسر- و المخلص- بالفتح-؟
الحادى عشر: الفرق بين ما هو النيّة بالحمل الأوّلىّ، و ما هو النيّة بالحمل الشائع.
الثانى عشر: ضعف البدن و قوّته تابع لضعف النيّة و قوّتها.
ثمّ إنّه ورد فى أدعية الافتتاح، و كذا فى اشتراط صحّة العبادة بالولاية، و هكذا التوسّل بالأولياء و تقديمهم أمام العبادة بأن يقال: «اللهمّ إنّى أتوجّه إليک بمحمّد و آل محمّد، و أقدّمهم بين يدى صلاتى، و أتقرّب بهم إليک، فاجعلنى بهم وجيها فى الدنيا و الآخرة و من المقرّبين.» «1» مطالب هامّة يوجب التعرّض لها و البحث عنها و الرجوع إليها، و الخوض فيها الخروج عن طور هذه الرسالة، فلعلّ لها موطنا آخر.

_____

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 2 و 17.

الصلة الثالثة فى سرّ القراءة

إنّ المعتبر فى الصلاة الثنائيّة هو قراءة فاتحة الكتاب و سورة، و كذا المعتبر فى الأولتين من غيرها كالثلاثيّة و الرباعيّة، و قد ورد أنّه: «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب» «1»، فقراءة شىء من القرآن فى الصلاة على ما دوّن فى الفقه واجبة، و القراءة لها سرّ باعتبار أنّ المقروء له سرّ، فما لم يكن القارئ ذا سرّ فلا يصل هو إلى سرّ القراءة، و لا ينال أيضا سرّ المقروء، فتكون قراءته بتراء.

و الشاهد على أنّ المقروء- أى: القرآن الكريم- له سرّ هو ما بيّنه اللّه سبحانه بقوله «إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتٰابِ لَدَيْنٰا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ» «2» لدلالته على أنّ الموجود بين الدفّتين بما أنّه كتاب عربىّ فهو قرآن، و هو نفسه بما أنّه فى أمّ الكتاب أيضا قرآن، و بما أنّه علىّ حكيم أيضا قرآن، و هنالک- أى: أمّ الكتاب، و لدى اللّه- لا مجال للاعتبار من وضع الألفاظ العربيّة أو العبريّة أو نحوهما، و ليس لدى اللّه إلّا الأمر المجرّد التامّ العقلىّ الذى لا يناله إلّا العقل المحض الخالص عن شوب الخيال و الوهم، و كما أنّ ظاهر القرآن العربىّ لا يمسّه إلّا الطاهر عن الحدث و الخبث كذلک سرّه لا يمسّه إلّا المنزّه عن الرين و الدنس، و هو الالتفات الى غير المعبود، إذ الناظر إلى غيره لا يقدر العروج إلى موطن اللدن، و إذا لم يعرج إليه ليس فى وسعه أن ينال أمّ الكتاب العلىّ الحكيم؛ لأنّه لدى اللّه تعالى.

---

(1) عوالى اللآلئ: ج 1 ص 196 ح 2 عن النبى (ص).

(2) الزخرف: 3 و 4.

و كما أنّ ظاهر القرآن العربىّ لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه فكذلک سرّه الذى هو العلىّ الحكيم منزّه عن تسرّب الباطل عن أيّة جهة و سمت أبدا، و من كان فى قلبه مثقال ذرّة من حبّ الدنيا الذى هو رأس كلّ باطل و خطأ فكيف ينال ما هو المصون عنه مطلقا؟ إذ لا طريق للخطإ إلى الصواب، فالحنين إلى رأس الخطأ لا يجتمع مع عزم الصائب الصرف، كما لا تجتمع وليمة و عزيمة. و حيث إنّ أدب الصلاة ذريعة إلى سرّها فالمصلّى المتأدّب بأدبها من الحضور القلبىّ يصل إلى سرّها، و هو الوجود العينىّ العقلىّ الفائق عن الوجود المثالىّ، فضلا عن الطبيعىّ، سيّما الاعتبارىّ المتحقّق فى عالم الطبيعة. و ما صلاه الرسول الأكرم- صلّى اللّه عليه و آله- فى المعراج كان جامعا لجميع نشآت الصلاة، و المصلّى الذى له حضور تامّ فهو الذى يناجى ربّه، و يقول: إيّاک نعبد و إيّاک نستعين، و معلوم أنّ

هذا المصلّى المستغرق فى شهود الكثرة- حسب التعبير بصيغة المتكلّم مع الغير- لم يبلغ بعد مرحلة الوحدة الصرفة الّتى لا أثر هناک للنجوى و لا للمناجى، فضلا عن غيرهما من أولى العبادة و النداء و النجوى و الاستعانة، و لكنّ السلّم منصوب، و الأمر بالقراءة و الرقى (اقرأ و ارق) مسموع، و الامتثال ميسور.
و قد تقدّم: أنّ النظام العينىّ قد استقرّ على العلّيّة و المعلوليّة كما قال أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام: «كلّ قائم فى سواه معلول» «1»، أى: كلّ موجود لا يكون وجوده عين ذاته فهو معلول لما يكون وجوده محض ذاته، و لا ريب فى لزوم كون العلّة أقوى من المعلول، و مع ذلک قال بعض أهل المعرفة «2»: إنّ «بسم اللّه» من العبد بمنزلة «كن» من الربّ، و قد ورد فيه: أنّه أقرب إلى اسم اللّه الأعظم من سواد العين إلى بياضها، فالمصلّى العارف بحكمة الصلاة، المتأدّب بأدبها يصل الى حدّ يكون تلفّظه ب «بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» فى بدء الفاتحة الّتى لا صلاة بدونها بمنزلة «كن» من اللّه الذى إذا صدر منه يتحقّق المراد و يكون (بالكون التامّ لا الناقص).

---

(1) نهج البلاغة: الخطبة «186».
(2) انظر الفتوحات المكّيّة.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 41
و من المعلوم أنّ القراءة بوجودها الاعتبارىّ لا تقدر على التأثير العينىّ، بل بما لها من السرّ الوجودىّ، و الاسم أمر عينىّ مسبّب عن العيب و النقص، فلذا أمر اللّه سبحانه رسوله- صلّى اللّه عليه و آله- بالتسبيح له حيث قال تعالى «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَى» «1»، و ذلک الاسم هو سرّ للاسم اللفظىّ الذى يقرأه المصلّى.
و لا خفاء فى أنّ سرّ الاسم الأعظم هو أعظم الأسرار، و لا ينال إلّا بخرق الحجب طرّا كما مرّ فى تكبيرات الافتتاحيّة، و لذا ورد فى حديث المعراج «. فلمّا فرغ من التكبير و الافتتاح أوحى اللّه إليه: سمّ باسمى، فمن أجل ذلک جعل بسم اللّه الرّحمن الرّحيم فى أوّل السورة» «2».
و حيث إنّ بسم اللّه فى أوّل كلّ سورة له معنى خاصّ مطابق لما تحتويه تلک السورة، و كانت سورة الحمد كافلة لمعارف جمّة فبسم اللّه الواقع فى أوّلها جامع لتلک المعارف، و لمّا كان إدراک تلک المعارف مرقاة إلى شهود إسرارها فلنأتى بشىء منها؛ لأنّ الحرّ تكفيه الإشارة عن العبارة.
إنّ الحمد إنّما هو تجاه النعمة، و النظام الإمكانىّ من المعقول إلى المحسوس، و من الغيب إلى الشهادة نعمة إلهيّة أنعمها البارئ تعالى، فهو تعالى مستحقّ للحمد، و لا محمود سواه، و حيث إنّه لا وجود حقيقىّ لغيره، لأنّ كلّ ما سواه آيات و مظاهر له فهو مالک بالاستقلال لما يصدر عن ما عداه، فالحمد المتمشّى من غيره إنّما هو مظهر للحمد الناشئ منه تعالى،

فلا حامد عداه، فهو الحميد بالمعنى المطلق، أى:
الحامد و المحمود.
و قد علّل فى هذه السورة استحقاقه تعالى للحمد بأمور خمسة، بعضها جامع و متن، و بعضها الآخر شرح لذلک المتن:
الأوّل:- أى: ما هو بمنزلة المتن- هو عنوان «اللّه»؛ لأنّه جامع لجميع الكمالات، و كلّ من جمع الكمال فهو محمود، فاللّه محمود فله الحمد، و هذا القسم

_____

(1) الأعلى: 1.
(2) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 10.

بمنزلة المتن الذى تشرحه سائر العلل الأربع الآتية.
الثانى:- أى: ما هو بمنزلة الشرح و هكذا العناوين الأخر القادمة- هو عنوان الربوبيّة الّتى هى من الصفات الخاصّة، و حيث إنّ اللّه سبحانه ربّ العالمين و كلّ ربّ محمود فهو محمود فله الحمد.
الثالث: هو عنوان الرحمانيّة الّتى هى أيضا من الصفات الخاصّة؛ لأنّها و إن كانت أعمّ من غيرها إلّا أنّها بالقياس إلى عنوان «اللّه» خاصّة، و إن يظهر من بعض أهل المعرفة «1» كونها أيضا اسما أعظم نظير عنوان «اللّه» حسبما يستفاد من قوله تعالى قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ أَيًّا مٰا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنىٰ «2» لدلالته على أنّ كلّ واحد من «اللّه» و «الرّحمن» واجد للأسماء الحسنى، إذ المستفاد منه: أنّ كلّ واحد من ذينک الاسمين فله- أى: لكلّ واحد منهما- الأسماء الحسنى، إذ الضمير يرجع إلى أىّ، لا الى خصوص الذات المطلقة الواجبيّة، و لكن لمّا لم يجعل عنوان «اللّه» وصفا و تابعا، و لكن يجعل عنوان «الرّحمن» وصفا و تابعا، فيمكن الفرق بينهما بجعل «اللّه» جامعا و جعل «الرّحمن» شارحا.
الرابع: هو عنوان الرحيميّة الّتى هى أيضا من النعوت الخاصّة؛ لعدم اتّساعها بالنسبة إلى غير المؤمن. و على أىّ تقدير لا تكون نظير عنوان «اللّه» اسما أعظم، و حيث إنّ اللّه سبحانه رحيم و كلّ رحيم محمود فهو تعالى محمود فله الحمد.
الخامس: هو عنوان مالک الجزاء بالجنّة و النار، و ذلک من شئون الحكمة و العدل، كما أنّه من شئون القدرة أيضا، و كلّ حاكم عدل يملک الجزاء فى قبال العمل، إن كان خيرا فبالجنّة، و إن كان شرّا فبالنار، فهو محمود، و حيث إنّ اللّه سبحانه مالک له فهو محمود فله الحمد.
فهذا الجزء من الفاتحة حاو للمبدإ و المعاد و ما بينهما. أمّا الأوّل و الثانى- أى:
المبدأ و المعاد- فواضح بما قرّر، و أمّا الذى يرجع إلى المبدإ و المعاد فهو

الدين

---

(1) راجع الفتوحات المكّيّة.
(2) الإسراء: 110.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 43
و الصراط و النبوّة و الرسالة و الوحى و الولاية، و ما الى ذلک ممّا يرجع الى ربوبيّته تعالى، حيث إنّ الربّ كما يربّ الحجر و المدر و الشجر و البرّ و البحر و الحيوان الأعجم كذلک يربّ الإنسان، و معلوم أنّ تربيبه و تربيته إنّما هو فى ضوء الشريعة و الصراط الذى بدونه يكون الناس كالأنعام بل هم أضل، و به يصير نبيّا و رسولا و وليّا، أو عبدا صالحا و مؤمنا فالحا و نحو ذلک.
و من المعلوم: أنّ لكلّ من المعارف المارّة سرّا عينيّا يختصّ به، و لا ينال المصلّى المناجى ربّه إيّاه إلّا بمعرفة هذه المعارف و الاعتقاد بها و السير نحوها حتّى يحصل له شهود مصاديقها، و يصل إلى سرّها، و ما نقل من مآثر أهل البيت- عليهم السّلام- و آثار مقتفيهم من الخرور مغشيّا عند قراءة الفاتحة فإنّما هو باستناد شهود نبذ من إسرارها.
و حيث إنّ المصلّى بعد معرفة استحقاق اللّه سبحانه للعبادة بالبرهان الذى أقامه القرآن يريد أن يصل إلى معروفه بالعيان، أى: العرفان، و لا وسيلة لتلک الصلة إلّا الصلاة، كما قرّر من أنّها حجزة عن الرين و ما يوجب البعد، و وصلة بين العبد و المولى، يتوسّل إليه تعالى بالعبادة، و يناجيه بقوله «إِيّاکَ نَعْبُدُ» بتقديم ما يفيد الحصر، و لعلّ قصده فى التعبير بالمتكلّم مع الغير هو: أنّه فى صفّ سائر الموجودات العابدة له تعالى، إذ اللّه ربّ للعالمين الّذين يعبدون ربّهم الواحد، أو هو أنّه فى صفّ سائر المصلّين الراكعين الساجدين الّذين أمرنا اللّه تعالى بأن نكون معهم، كما قال تعالى «وَ ارْكَعُوا مَعَ الرّاكِعِينَ» «1»، أو هو أنّه مع قلبه و سائر جوانحه و جوارحه بائتمامهم بإمامهم، أى: العقل القاهر على ما عداه يعبدونه تعالى؛ لأنّ المؤمن وحده جماعة، كما تفطّن له المجلسىّ الأوّل قدّس سرّه «2».
و على أىّ تقدير: يحتاج السالک فى طىّ طريق العبادة الصالحة لأن توصل العبد الى مولاه و تجعل معقولة مشهوده إلى الإعانة، و لمّا انحصرت الربوبيّة فى اللّه

---

(1) البقرة: 43.
(2) روضة المتّقين: ج 2 ص 486.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 44
تعالى فلا معين إلّا هو، و لذلک يناجى ربّه بقوله «إِيّاکَ نَسْتَعِينُ» بتقديم ما تقدّمه يفيد الحصر، و حيث إنّ اللّه سبحانه معين من استعانة فيعينه بما

استدعاه، و يهديه إلى صراط الّذين أنعم اللّه عليهم من النبيّين و الصدّيقين و الشهداء و الصالحين، و حسن أولئک رفيقا، فهؤلاء الّذين هم على الصراط المستقيم- و هم المنعم عليهم- هم الّذين يعبدون اللّه سبحانه و يناجونه، و المصلّى يرى نفسه معهم، و هم الّذين لم يخلطوا عملا صالحا و آخر سيّئا، بل هم الّذين خلصوا من دم الإفراط، و روث التفريط، و نجوا من الغضب و الضلالة، و قالوا: ربّنا اللّه و استقاموا، فتتنزّل عليهم الملائكة المبشّرات.
و المصلّى إذا نجا من جانبى الغضب و الضلال و مشى على الصراط السوىّ و أخلص عبادته للّه تعالى يأتيه اليقين، أى: عين اليقين، فيشاهد ما فهمه بالبرهان، و يجد ما وعده القرآن بقوله تعالى «وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتّٰى يَأْتِيَکَ الْيَقِينُ» «1»، إذ المراد من الآية: هو بيان الفائدة، لا الغاية؛ لأنّ معناها: أنّ من بركات العبادة و فوائدها هو: حصول اليقين، لا أنّ المراد منها هو تحديد العبادة و تعيين حدّها به، بحيث إذا حصل اليقين ما زالت الحاجة إلى العبادة، بأن تكون العبادة بمنزلة النعلين، حتّى إذا بلغ السالک إلى الوادى المقدّس- اليقين- يلزم خلعهما، بل العبادة بمنزلة المقدّمتين للنتيجة، و المرقاة للصعود إلى الدرجة الراقية، بحيث يلزم حفظ المقدّمتين للنتيجة حدوثا و بقاء و كذا صون السلّم للصعود، حتّى إذا زالت المقدمتان زالت النتيجة، و إذا سقط السلّم هبط الصاعد كهبوط الشيطان المرجوم بقوله تعالى:
«فَاهْبِطْ مِنْهٰا فَمٰا يَكُونُ لَکَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهٰا» «2».
ثمّ إنّ المصلّى المناجى ربّه قد يكون نجواه بلا وسيط من حجاب أو رسول، و قد يكون من وراء حجاب، و قد يكون بوساطة رسول، كما أنّ اللّه تعالى المتكلّم لعبده لا يكلّمه إلّا بأحد الأنحاء الثلاثة حسبما أفاده فى سورة الشورى، حيث قال تعالى:

_____

(1) الحجر: 99.
(2) الأعراف: 13.

«وَ مٰا كٰانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللّٰهُ إِلّٰا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرٰاءِ حِجٰابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مٰا يَشٰاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ» «1».
و السبب فى التثليث المذكور هو ضعف الممكن عن التكلّم، أو الاستماع بلا وسيط دائما، بل إنّما هو للأوحدىّ من الإنسان حيّنا، و حيث إنّ تكلّم العبد مع مولاه فرع تكليم اللّه إيّاه و كان ذلک على ثلاثة أنحاء كان تكلّم العبد أيضا كذلک، و لا بدّ هنا من التنبّه لأمرين:
أحدهما: أنّ اللّه الحائل بين المرء و قلبه أقرب إلى المصلّى المناجى من نفسه إليه فضلا عن غيره، فلا وسيط و لا حاجب من ناحيته تعالى، إنّما الوساطة و الحجاب من جانب المستمع الواعى دائما.
و ثانيهما: أنّ الحجاب المنتفى فى القسم الأوّل من الأنحاء الثلاثة إنّما هو

بالقياس إلى النحوين الآخرين المذكور أحدهما فى القسم الثانى، و هو ما يكون من وراء حجاب، و الآخر فى القسم الثالث، و هو ما يكون بإرسال الرسول. و أمّا بالقياس إلى نفسه فهو أيضا حجاب لا محالة؛ لأنّ الممكن المحدود يكون أصل وجوده و حدّه و تقيّده و تعيّنه حجابا عن شهود الوجود البحت، المطلق المنزّه عن الحدّ المقدّس عن القيد، فلا حجاب بينه و بين اللّه سبحانه إلّا نفسه كما أشار إليه بعض النصوص.
و من هنا يمكن أن يقال بأنّ التكليم منحصر فى وراء الحجاب، و كذا النجوى منحصر فيه، و لقد أفاد صاحب الفتوحات حصر المناجاة فى وراء الحجاب «2»، و إن كان الحقّ هو: كون الحصر من جانبى التكليم و النجوى، و كون منشإ الحجاب فيهما هو قصور الممكن و ضعفه، حتّى فى مرتبة الفناء الذى لا يشاهد فيه الفانى نفسه؛ لأنّ ذاته المحدودة و إن لم تكن مشهودة حينذاک و لكنّها ليست معدومة، و إلّا لما كان الفناء كمالا، بل موجودة، فإذا كانت موجودة فلها حكمها الخاصّ من

---

(1) الشورى: 51.
(2) الفتوحات المكّيّة: ج 1 ص 410.

الحجاب، فتدبّر.
فعند اتّضاح أنحاء النجوى و أنّ الأصل الحاكم فى أنحائه هو كونه من وراء الحجاب و أنّ نفى الحجاب نسبىّ لا نفسىّ يتبيّن معنى الخطاب فى قوله «إِيّٰاکَ نَعْبُدُ وَ إِيّٰاکَ نَسْتَعِينُ»، و معنى الدعاء الشفهىّ فى قوله «اهْدِنَا الصِّرٰاطَ الْمُسْتَقِيمَ»، كما أنّه يتبيّن سرّ تقديم التوجّه بالأولياء فى افتتاح الصلاة، و قبل دخولها «1»، إذ الخطاب و الدعاء لأكثر الناس بل لكثيرهم ليس إلّا من وراء الحجاب و إن كان ذلک الحجاب من قبلهم لا من اللّه سبحانه. و أمّا الأوحدىّ من الّذين استخلصهم اللّه لنفسه نجيّا فهو و إن لم يكن هناک حجاب مركوم و مركّب و لكن لا محيص هنالک عن الحجاب البسيط، و هو نفس ذاک المناجى و ذاته.
هذا نبذ ممّا يرجع إلى أصل النداء و النجوى و أنحائه، و إلى ما تحويه سورة الحمد، مع أنّ أصل الحمد من تعليم اللّه سبحانه، إذ لو حبس عرفان حمده عن عباده على ما أبلاهم من مننه المتتابعة و أسبغ عليهم من نعمة المتظاهرة لتصرّفوا فى مننه فلم يحمدوه، و توسّعوا فى رزقه فلم يشكروه، و لو كانوا كذلک لخرجوا من حدود الإنسانيّة إلى حدّ البهيميّة، فكانوا كما وصف فى محكم كتابه «إِنْ هُمْ إِلّٰا كَالْأَنْعٰامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا» «2»، على ما أفاده مولانا السجاد- عليه السلام- فى صحيفته «3»، فعليه يكون الحمد فصلا مقوّما أخيرا للإنسان فهو ناطق حامد.
و أمّا ما يرجع إلى السورة فحيث إنّ المصلّى له الخيرة فى قراءة أيّة سورة

شاء من القرآن- عدا العزائم الأربع- فلا مجال للبحث عن سرّ سورة خاصّة يعيّنها إلّا بما يرجع إلى أصل الخطاب، و إلى أصل القرآن، و قد مرّ منها ما يناسب هذا المختصر، و لكن لمّا قرأ رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- فى المعراج سورة التوحيد- حسبما أمره اللّه تعالى بأن قال: «اقرأ يا محمّد نسبة ربّک قل هو اللّه أحد» «4»- فبالحرى أن يشار إلى

_____

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 2 و 3.
(2) الفرقان: 44.
(3) الدعاء الأوّل فى التحميد.
(4) راجع حديث المعراج المتقدّم.

شطر من سرّها.
و ليعلم: أنّه قد ورد فى شأن سورة التوحيد، و كذا الآيات الستّ من أوّل سورة الحديد ما لا ينبغى الذهول عنه، و هو ما رواه الكلينىّ- رحمه اللّه- بإسناده عن عاصم ابن حميد قال: سئل علىّ بن الحسين- عليهما السّلام- عن التوحيد؟ فقال: «إنّ اللّه- عزّ و جلّ- علم أنّه يكون فى آخر الزمان أقوام متعمّقون، فأنزل اللّه تعالى «قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ»، و الآيات من سورة الحديد إلى قوله «وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ»، فمن رام وراء ذلک فقد هلک» «1».
إنّ التعمّق: هو التأمّل فى العمق، كما أنّ التدبّر: هو التأمّل فى الدبر، و حيث إنّ للقرآن بطنا بل بطونا فللتعمّق فيه مجال، كما أنّ له إنباء عمّا يأتى من الحوادث فللتدبّر فيه مجال أيضا. و القرآن آخر كتاب إلهىّ نزل، و هو خاتم الكتب و خاتم الصحف، و الناس فى تكامل حلومهم إلى حدّ يليقون لظهور خاتم الأولياء و خاتم الأوصياء المهدىّ المنتظر أرواحنا فداه، و حينذاک تتعالى العلوم الشهوديّة، باطّلاع غير واحد من الناس على الغيب بما يراه من نوره، و تتكامل العلوم الحصوليّة بعثور غير واحد من الأذكياء على براهين المبدأ و المعاد، فلا بدّ من علم شهودىّ جامع، و كذا من علم برهانىّ كافل، و لكلّ واحد منهما أصحاب و رجال يختصّ به، و ولىّ العصر- عليه السّلام- هو المعلّم الجامع بين الغيب و الشهود، كما أنّ القرآن كتاب كافل لهما و على كاهله تعليم الحكماء، و إراءة العرفاء فلذا يلزم أن يشمل على ما لا حدّ فوقه، و لا مقام إمكانىّ وراءه، و كل حدّ برهانىّ أو مقام شهودىّ يفهمه الحكيم أو يشهده العارف فالقرآن واجد له، و حيث إنّ الأساس لجميع المعارف هو التوحيد- و كلّما كمل العلم به كمل العلم بغيره من المعارف الراجعة إليه- فلذا أنزل اللّه سبحانه ما هو الشامل لأقصى مراتب البرهان، و أعلى درجات العرفان، كما هو المترقّب من القرآن الهادى لهما إلى لقاء الرّحمن.

(1) الأصول من الكافى: ج 1 باب النسبة ص 91.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 48
و من هنا تبيّن أنّ ظاهر النصّ المذكور هو مدح التعمّق، و ترغيب المتعمّقين، و أنّه لا حدّ وراء ما تحويه سورة التوحيد و الآيات الستّ من سورة الحديد، و أنّ تهلكة من رام وراءه فإنّما هى إرشاد إلى نفى الحدّ الفائق، إذ السلوک فيما لا طريق إليه و لا حدّ له تيه، و التائه هالک، و الهالک عن بيّنة فى جهنم لا رحمة فيها، كما فى نهج البلاغة الكتاب 27: «دار ليس فيها رحمة و لا تسمع فيها دعوة».
إنّ رواسى الحكمة المتعالية و أوتادها الّذين وتّد اللّه سبحانه بهم بعد الأئمّة الأطهار- عليهم السّلام- ميدان أرض المعرفة، لئلّا يزلّ أو يضلّ أو يذلّ من ليس له حكيم يرشده، قد استنبطوا من هذا الحديث النورانىّ، أنّه فى سياق مدح المتعمّقين، حيث قال صدر المتألّهين- قدّس سرّه- ما عصارته: إنّ هذا العبد كان فى سالف الزمان متأمّلا فى رموز القرآن و إشاراته، و كان المتفتّح من آيات هذه السورة أكثر من غيرها، فحدانى ذلک إلى تفسير القرآن.، و كان أوّل ما أخذت فى تفسيره هذه السورة (سورة الحديد). ثمّ بعد أن وقع إتمام تفسيرها. و اتّفقت مصادفتى لهذا الحديث.، فاهتزّ خاطرى.، و انبسط نشاطى.، فشكرت اللّه على ما أنعم. «1».
و قد اقتفى صهره فى الوافى أثره؛ لأنّه منه كالضوء من الضوء، و كالصنو من الصنو، و الذراع من العضد، حيث قال رحمه اللّه: لعلّه- عليه السّلام- أشار بالمتعمّقين إلى أكابر أهل المعرفة، و لعمرى أنّ فى سورتى: التوحيد و الحديد ما لا يدرک غوره إلّا الأوحدىّ الفريد؛ و لا سيّما الآيات الأول من سورة الحديد، و خصوصا قوله عزّ و جلّ «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ» «2»! و لكنّ العلّامة المجلسىّ- قدّس سرّه- بعد وصفه الحديث بأنّه صحيح احتمل فى قوله عليه السّلام: «المتعمّقون» ثلاثة احتمالات:

(1) شرح الأصول من الكافى: ص 248 الطبعة الحجريّة.
(2) الوافى: ج 1 ص 369 ط مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 49
الأوّل: أن يكون أمرا بالتعمّق، فالمعنى: ليتعمّقوا فيه.
الثانى: أن يكون نهيا عنه، فالمعنى: لا يتعمّقوا كثيرا بأفكارهم، بل يقتصروا فى معرفته سبحانه على ما بيّن لهم.
الثالث: أن لا يكون بمعنى الإنشاء، سواء كان أمرا كالأوّل، أو نهيا كالثانى، بل هو إخبار، و مبيّن للضابط و المعيار الذى يعرضون أفكارهم عليها، فلا يزلّوا و لا يخطأوا، ثم قال رحمه اللّه: و الأوسط أظهر، أى: كونه نهيا عن التعمّق بأفكارهم أظهر؛ للزوم الاقتصار على ما بيّن لهم «1».

أقول: الظاهر هو الأخير، إذ لا مجال لحمل قوله عليه السّلام: «متعمّقون» على الإنشاء أوّلا، و لكفاية الآيات الدالّة على أنّه تعالى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، و أنّهم لا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً، و أنّه لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ ثانيا بلا فاقة الى نزول هاتين السورتين، و لأنّ نطاق هاتين السورتين مفيد لغير واحد من الأوصاف الإلهيّة الّتى ترتعد فرائص العقول حولها ثالثا، و لو كان الهدف السامى لنزولهما هو النهى عن التعمّق و نحو ذلک لكان لهما لسان آخر، فالصواب هو: أنّ محتواهما بيان للمعيار النهائىّ فى التوحيد حتّى تعرض عليه الأفكار و الآراء كما استنبطه أساطين الحكمة، فمحتوى السورتين ميزان قسط لا يحيد، فلا بدّ من عرض المعارف عليه.
و من هنا يظهر: أنّ ما أفاده بعض مشايخنا «2»- قدّس سرّه- من: أنّ الأظهر أنّ الرواية ذمّ للمتعمّقين إلى الّذين يتصدّون لمعرفة ما لا يناله الإنسان من ذات اللّه تعالى، و أمر لهم بالاكتفاء بمفاد الآيات «3» ليس بتامّ؛ لأنّ المطلب المذكور و إن كان حقّا فى نفسه- لأنّ التصدّى لما لا ينال تهلكة و تيه- و لكنّ السورتين قد اشتملتا على معارف جمّة لم يكن فى وسع من قدّمه الدهر أن ينالها، كما لم يؤثر عنهم ما نالته رجال من فارس، و لو لم يصدّر قوله- رحمه اللّه- بما نقل عن صدر المتألّهين- قدّس

---

(1) مرآة العقول: ج 1 ص 320 ط دار الكتب الإماميّة.
(2) هو العلامة الشعرانىّ رحمه اللّه.
(3) الوافى: ج 1 ص 369.

سرّه- لكان لمقالة وجه وجيه، و لكنّه- رحمه اللّه- نقل أوّلا قول صدر المتألّهين رحمه اللّه، ثمّ أتى بما نقل، و لقد أجاد- قدّس سرّه- فى تعليقته على شرح المولى الصالح للأصول من الكافى، حيث فصل بين التعمّق المذموم و الممدوح، و قال رحمه اللّه: و أمّا المذموم فالتعمّق فيما لا تصل إليه العقول من الكلام فى الذات و تشبيهه تعالى بالأجسام. و أمّا الممدوح فالتفكّر فى عظمته و قدرته و حكمته و ما يصل إليه العقول من صفاته «1». كما أنّه أجاد الشارح- أى: المولى الصالح- فى شرحه فراجع.
و بالجملة: أنّ سورة التوحيد و أوائل الحديد لاشتمالهما على الضابط الإلهىّ المصون عن أيّة مغالطة تكون ذريعة لنيل أسرار الصلاة و شهودها؛ لأنّ المعرفة الحصوليّة بذر المشاهدة الحضورية كما قيل.
و لا مساغ لأحد أن يخالف ما فى هاتين السورتين، أو يختلف عنه، أو يخلّفه، إذ المخالف له مناقض للقرآن الذى لا ريب فيه، فالمخالف يتردّد فى ريبة، إذ مخالف ما لا ريب فيه مريب، و أمّا المختلف معه المتخلّف عنه فهو قاصر مفرّط. و من المعلوم أنّ المتأخّر عن الحقّ زاهق، و المتقدّم عليه المخلّف له- أى: الذى يجعل نفسه إمام القرآن و أمامه، و يجعل القرآن خلفه- فهو

متعدّ مفرط. و من الواضح أنّ المتقدّم على الحقّ مارق، و من سار على ما تهديه السورتان و سلک سبيلهما کاد أن يصل إلى سرّهما الذى هو الموجود العينىّ المتجلّى بصورة السورة، و المکتسى بکسوتها؛ لأنّ اللازم للحقّ لا حق.
و ليعلم: أنّ فى بعض نصوص المعراج: أنّه قد أوحى اللّه تعالى إلى رسوله- صلّى اللّه عليه و آله- الذى عرج به- فى قراءة الرکعة الأولى: اقرأ يا محمّد نسبة ربّک تعالى «قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ اللّٰهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ وَ لَمْ يَکُنْ لَهُ کُفُواً أَحَدٌ»، و فى قراءة الرکعة الثانية: اقرأ «إنّا أنزلناه» فإنّها نسبتک و نسبة أهل بيتک إلى يوم القيامة.
و الذى يستفاد من هذا التعبير هو: أنّ نسبة کلّ موجود و ما ينتمى هو به إنّما هو

---

(1) شرح المولى الصالح المازندرانى- رحمه اللّه- للأصول من الکافى: ج 3 ص 190.

الوجود الخاصّ، و الکمال الوجودىّ المخصوص. و أمّا العنوان الاعتبارىّ و الإضافة الطارئة الّتى لا مساس لها بذات الشىء فلا دخل لشىء من ذلک فى الانتماء.
و الذى يصلح لأن يجعل نسبة الربّ تعالى هو الهويّة المطلقة الأحديّة البحتة الصمديّة الصرفة، مسلوبا عن ذلک کلّ ما يرجع إلى النقص، و الذى يصلح لأن يجعل نسبة الرسول- صلّى اللّه عليه و آله- و أهل بيته- أى: انتماء الإنسان الکامل، و الخليفة الشامل الجامع- هو کون قلبه مهبط الوحى، و موطن الملائکة النازلة به فيما يرجع إلى التشريع أو غيره فى خصوص الرسول صلّى اللّه عليه و آله، و فيما يؤول إلى غير التشريع فى غيره صلى اللّه عليه و آله، و الغرض: هو أنّ نسبة کلّ موجود إمکانىّ فإنّما هى تربطه إلى الأحد الصمد الذى هو المنسوب إليه لکلّ ما سواه.
و قد يلاحظ الترتيب فى قوس النزول عکس ما فى قوس الصعود؛ لأنّ الصاعد إلى اللّه يقرأ نسبة أهل البيت عليهم السّلام- أى: «إنّا أنزلناه.» فى الرکعة الأولى- و نسبة الربّ تعالى، أى: «قل هو اللّه أحد.»- فى الرکعة الثانية؛ لأنّ الربّ تعالى مدينة الحقّ و التحقّق، و الإنسان الکامل بابها، حسبما يستفاد من أدعية التکبيرات الافتتاحيّة کما تقدّم، و يؤيّده ما فى الزيارة الجامعة «. من أراد اللّه بدأ بکم»، و ما فى رواية الفقيه «1». و إن کان الأمر فى قوس النزول هو ما مرّ؛ لأنّه تعالى أوّل کلّ شىء. نعم، أوليّة کلّ شىء بأوّليّته تعالى، و آخريّة کلّ شىء بآخريّته تعالى؛ لأنّ ما بالعرض لا بدّ و أن ينتهى إلى ما بالذات، و أمّا هو تعالى فهو الأوّل بلا شىء کان قبله، و هو الآخر بلا شىء يکون بعده.

أمّا القراءة فى غير الأوليين فتجوز الفاتحة كما يجوز التسبيح، أى: سبحان اللّه، و الحمد للّه، و لا إله إلّا اللّه، و اللّه أكبر، و النصوص فى بيان ما هو الأفضل فهما- أى:
القراءة و التسبيح- متعدّدة، و فى بعضها تفصيل بين الإمام و غيره «2». و على أىّ

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 64.
(2) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 188- 192.

تقدير: لو اختير التسبيح لكان اللازم على السائر سبيل السرّ الصائر إليه أن يتنبّه بما ورد من سرّ تربيع التسبيح، و أنّه واقعيّة عينيّة ينتظم بها العرش و ما دونه، حيث إنّه ورد فى سبب تكعّب الكعبة و بنائها على الجدران الأربعة من التعليل بكون البيت المعمور مربّعا، المعلّل تربيع ذلک البيت المعمور بكون العرش مضلّعا بأضلاع أربعة، و جهات أربع، المعلّل تربيع العرش بكون التسبيح أربعا، و هى: «سبحان اللّه.».
و الذى يستفاد من هذا التعليل هو: أنّ للتسبيح الجامع للتحميد و التهليل و التكبير وجودا خارجيّا، و أثرا عينيّا مقدّما على العرش الذى منه ينتشئ الأوامر الإلهيّة، و سببا لأن يهيّأ العرش على مثال ذلک التسبيح، و لكلّ ضلع من أضلاع العرش حكم يختصّ به و إن كان الكلّ فى الوجود الجمعىّ واحدا، لا صدع و لا شعب فيه.
فتبيّن فى هذه الصلة أمور:
الأوّل: أنّ للقرآن سرّا، و أنّه لا مجال هنالک للّفظ الاعتبارىّ من العربيّة أو العبريّة أو نحو ذلک، و لا يناله إلّا اللبيب الذى لا يحوم حوم لبّه سوى حبّ المعبود المتكلّم بذلک الكلام.
الثانى: أنّ «بسم اللّه» من العبد بمنزلة «كن» من الربّ، و أنّه حاو لأعظم الأسماء.
الثالث: أنّ الاسم المؤثّر فى العين موجود خارجىّ لا اعتبارىّ، و أنّ ذلک الموجود العينىّ مسبّب، و لا ينال ذلک إلّا بخرق الحجب.
الرابع: أنّ اللّه هو الحامد و المحمود، و علل حصر الحمد فيه تعالى.
الخامس: أنّ «الرحمن» اسم أعظم عند بعض أهل المعرفة.
السادس: أنّ فاتحة الكتاب تحميد و دعاء كما فى بعض النصوص «1»، و أنّها

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 190، عن التهذيب.

كافلة للمعارف الثلاث من المبدأ و المعاد و ما بينهما.

السابع: أنّ العبادة منحصرة للّه، و الاستعانة به تعالى.
الثامن: بيان المنعم عليه، و من هو على الصراط المستقيم.
التاسع: أنّ اليقين فائدة العبادة المتحقّق بوجودها، الدائم بدوامها، الزائل بزوالها، لا أنّه غايتها و حدّها الباقى بعد زوالها؛ لأنّه زعم زائف، و إفک آفل، و فرض فائل.
العاشر: أنّ نعلى السالک يخلعان بعد الوصول إلى المقصود، و أنّ مقدّمتى البرهان تحفظان بعد العثور على المطلوب.
الحادى عشر: أنّ أنحاء التكلّم مع اللّه ثلاثة، و أنّ الميز بينها فى قلّة الحجاب و كثرته لا فى أصل الحجاب وجودا و عدما.
الثانى عشر: أنّ الفناء الذى هو من منازل السائرين و مقاصد الصائرين هو: عدم الشهود، لا زوال الوجود؛ لأنّ الفناء كمال، و زوال الوجود نقص.
الثالث عشر: أنّ الحمد من تعليم اللّه، و لولاه لتصرّف الناس فى المنن بلا حمد، و لصاروا بهائم، و أنّ الفصل المقوّم للإنسان الناطق هو: الحمد، فالإنسان حيوان ناطق حامد.
الرابع عشر: ترغيب المتعمّقين بالتدبّر فى سورة التوحيد و أوائل سورة الحديد، عدا التخصيص بالتأمّل فى القرآن كلّه.
الخامس عشر: تكامل العقول و الحلوم عند ظهور خاتم الأوصياء عليه السّلام.
السادس عشر: أنّ الحكماء المتألّهين هم الأوتاد و الرواسى لأرض المعرفة.
السابع عشر: تضارب الآراء فى معنى حديث السجّاد عليه السّلام، و التعمّق المذموم و الممدوح.
الثامن عشر: أنّ سورة التوحيد هى نسبة الربّ، و سورة «إنّا أنزلناه»، هى نسبة أهل البيت عليهم السّلام.
التاسع عشر: العبرة بين قوسى النزول و الصعود فى تقديم إحدى سورتى التوحيد

و «إنّا أنزلناه» على الأخرى.
العشرون: أنّ تربيع العرش مستند إلى تربيع التسبيح، فالمصلّى المناجى ربّه إذا استعاذ فى بدء الصلاة باللّه ممّا استعاذ منه عباده المخلصون يصير قلبه عرش الرحمن، حيث إنّ العرش على شاكلة التسبيح الأربع، فالمسبّح بالقلب، المقدّس باللبّ، المناجى بالسرّ بالغ عرش ربّه بإذنه.

الصلة الرابعة فى سرّ القيام و الركوع و السجود و.

كما أنّ للصلاة ذكرا و قولا كذلک لها حال و فعل، و لكلّ من ذلک سرّ، إذ الصلاة بأسرها ذات سرّ، و قد تقدّم أنّ الطريق الوحيد لبيان سرّها هو: الكشف الصحيح، أو النقل المعتبر، إذ لا سبيل للعقل الطائف حوم كعبة الكلّيّات أن يسعى بين مصاديقها الجزئيّة، و أن يلزم أن لا يكون الجزئىّ المنكشف أو المنقول مناقضا للكلّىّ المعقول المبرهن.
و أنّ الذى يوجّه به حال المصلّى من القيام و نحوه لا خصيصة له بالصلاة؛ لجريان غير واحد من ذلک فى غيرها: كالوقوف فى عرفات، و المشعر، و كذا الطواف و السعى، حيث إنّ بعض ما يوجّه به أفعال الصلاة و أحوالها يجرى فى مناسک الحجّ و العمرة و نحوهما.
و حيث إنّ المهمّ هو النصّ الوارد فى بيان أسرار الصلاة فى المعراج و نحوه، فلنأت بنبذ منه، ثمّ نشير إلى ما يمكن توجيهه.
روى فى العلل عن أبى الحسن موسى بن جعفر عليهما السّلام: كيف صارت الصلاة ركعة و سجدتين؟ (أى: فى كلّ ركعة ركوع و سجدتان)، و كيف إذا صارت سجدتين لم تكن ركعتين؟ فقال عليه السّلام: «إذا سألت عن شىء ففرّغ قلبک لتفهم، إنّ أوّل صلاة صلّاها رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- إنّما صلّاها فى السماء
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 56
بين يدى اللّه تعالى قدّام عرشه تعالى. إلى آخره» «1».
و المستفاد منه: أنّ «صاد» الذى أمر رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- أن يغتسل و يتوضّأ منه هو عين تنفجر من ركن العرش كما تقدّم، و يقال له: ماء الحياة، و هو ما قال اللّه عزّ و جلّ «ص وَ الْقُرْآنِ ذِى الذِّكْرِ»، و أنّ أحوال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: من القيام و الركوع و السجود، و الجلوس و الانتصاب من ذلک كانت بالوحى الإلهىّ، و لكلّ حال ذكر و قول، كما عن دعوات الراوندىّ عن النبىّ- صلّى اللّه عليه و آله- أنّه قال: «أمرنى جبرئيل أن أقرأ القرآن قائماً، و أن أحمده راكعا، و أن أسبّحه ساجدا، و ان أدعوه جالسا» «2». كما أنّه روى: «للانتصاب ذكر خاصّ».
و لمّا كان الإنسان كونا جامعا بين الحضرات كلّها فهو واجد لكلّ حال يجده الملک، و لا عكس، إذ قد ورد فى الملائكة: «أنّ منهم: سجودا لا يركعون، و ركوعا لا ينتصبون، و صافّون لا يتزايلون.» «3»، و لكنّ الإنسان ينتصب تارة، و يركع أخرى، و يسجد ثالثة، و يجلس رابعة، و يتزايل إلى القيام خامسة، كما فعله رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- فى المعراج.
و حيث إنّ ما ورد فى سرّ الركوع أنّ تأويله: «آمنت بوحدانيّتک و لو ضربت عنقى» «4» مثال لسائر أحوال الصلاة من القيام و نحوه، فيمكن أن يقال:

إنّ سرّ القيام و تأويله هو الإعلام بالإعداد لمحاربة العدوّ من قوّة ترهبه، و المقاومة تجاه أىّ بلاء مبين، إذ الصلاة ممّا يستعان بها للحوادث و الكوارث حسبما قال تعالى:
«وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلٰاةِ وَ إِنَّهٰا لَكَبِيرَةٌ إِلّٰا عَلَى الْخٰاشِعِينَ» «5». و هكذا الإعلام بامتثال قوله تعالى «قُومُوا لِلّٰهِ قٰانِتِينَ» «6». و بإطاعة قوله تعالى:

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 21 عن علل الشرائع.
(2) المصدر السابق: ص 16 عن جامع الدعوات للقطب الراوندى.
(3) نهج البلاغة: الخطبة «1».
(4) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 62.
(5) البقرة: 45.
(6) البقرة: 238.

«يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّٰامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدٰاءَ لِلّٰهِ.» «1»، و «. كُونُوا قَوّٰامِينَ لِلّٰهِ شُهَدٰاءَ بِالْقِسْطِ» «2»، و لا خفاء فى أنّ المراقب على القيام للّه وحده يصير قائماً بالقسط، ثمّ يصير قوّاما به، ثمّ يصير مظهرا للقيّوم الذى تعنو له الوجوه بالعرض و التبع، كما أنّها عنت للحىّ القيّوم بالذات و بالأصالة.
و الغرض: كما أنّ المحاورة قد استقرّت على التعبير عن الصبر و الحلم و الجهاد و الاجتهاد بالقيام؛ لأنّه أقوى حالة للإنسان بها يقدر على الذبّ أو الصول كذلک المشاهدة الملكوتيّة قد استمرّت على التمثّل بالقيام أو الانحناء أو السجود، أو الجلوس، لأحوال تعترى الإنسان تجاه ربّه من الحضور لديه، و الانقياد لأمره، و التذلّل فى فنائه، و التربّص لصدور أمره، و حيث إنّ المهمّ فى إقامة الصلاة هو كون المصلّى قائماً للّه لا يعجزه شىء و لا يقعده أمر من الأمور ورد فى حقّ القيام و الاهتمام به حال الصلاة: أنّه «لا صلاة لمن لم يقم صلبه» «3»، و هذا و إن كان ظاهره الحكم الفقهىّ من لزوم الاستواء حال التكبير للإحرام، و حال القراءة، و قبل الركوع و نحو ذلک ممّا يجب فيه القيام، ركنا أو جزء و لكنّ تأويله هو: أنّ المناجاة مع اللّه تستلزم المقاومة مع الخواطر و الهواجس، فضلا عنها مع الكوارث و الحوادث.
كما أنّ إحياء العدل، و إجراء القسط، و عون المظلوم، و خصم الظالم تفتقر إلى القدرة المعبّرة عن ذلک بالقيام بالقسط، حسبما ورد فى حقّ اللّه تعالى شَهِدَ اللّٰهُ أَنَّهُ لٰا إِلٰهَ إِلّٰا هُوَ وَ الْمَلٰائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قٰائِماً بِالْقِسْطِ «4».
و حيث إنّ اللّه سبحانه دائم فى شهادته بالوحدانيّة فهو دائم القيام بالقسط، و كذلک الملائكة الّذين لا يسبقونه بالقول و هم بأمره يعملون، و يخافون من فوقهم، و لا يعصونه طرفة عين، بل و هكذا أولو العلم، إذ الدوام فى الشهادة بالتوحيد مستلزم للدوام فى القيام

(1) النساء: 135.
(2) المائدة: 8.
(3) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 79.
(4) آل عمران: 18.

بالقسط، فهو قائم دائما، و لعلّ من هذا القبيل: اتّصاف بقيّة اللّه تعالى و اتّسامه- عليه السّلام- بوصف القيام و سمته.
و لمّا كان القيام لإحياء كلمة اللّه و إعلائها فمن أحياها و أعلاها فهو قائم واقعا و إن كان قاعدا ظاهرا. و من لم يحيها و لم يعلها فهو قاعد واقعا و إن كان قائماً ظاهرا حسبما يذكر فى تفسير القيام للجهاد، و القعود عنه، من أنّ المدار هو: إحياء الدين بالجهاد و الاجتهاد، و إعلاء كلمة الحقّ بالإيثار و النثار، سواء كان المجىء قائماً أو قاعدا على ما بينهما من الميز المقولىّ؛ لأنّ كلّ واحد منهما من مقولة الوضع، و لا اعتداد بالقيام البدنىّ تجاه قيام القلب بإحياء الدين و صون تراثه عن الضياع، و لعلّ من هذا القبيل: هو ما قاله أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام: «. و ما جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان، زيادة فى هدى، أو نقصان من عمى» «1». و ما قاله- عليه السّلام- فى وصف أولياء اللّه «. بهم قام الكتاب و به قاموا»؛ لأنّ المراد من قيام القرآن بهم: هو ظهوره العلمىّ فى القلوب، و الأذهان، و أثره العملىّ فى الجوارح و الأبدان بإرشادهم و تبليغهم، كما أنّ المراد من قيام هؤلاء الأولياء بالقرآن: هو علمهم و عملهم به، و تعليمهم الناس الكتاب و الحكمة و تزكيتهم بما يبعدهم عن النار، و يقرّبهم إلى الجنّة، و يزلفهم إلى لقاء اللّه سبحانه.
و من هنا يظهر أيضا معنى قول علىّ- عليه السّلام- فى طعن النفاق، و قدح المنافق:
«. قد أعدّوا لكلّ حقّ باطلا، و لكلّ قائم مائلا.» «2».
و الحاصل: أنّ القيام إنّما هو تمثّل للحالة الّتى بها يقدر العبد على المسارعة، ثمّ الاستباق، ثمّ الإمامة بأتمّ وجه، فمن قام و استقام للّه تتنزّل عليه الملائكة و تبشّره بالولاية الطاردة للخوف و الحزن، كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قٰالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقٰامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاٰئِكَةُ أَلاّٰ تَخٰافُوا وَ لاٰ تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ» «3».

(1) نهج البلاغة: الخطبة «176».
(2) المصدر السابق: الخطبة 194.
(3) فصّلت: 30.

فمن استمرّ على الاستقامة يمكن أن يشاهد المبشّرات من الملائكة و يراهم، كما أنّه يسمع كلامهم، إذ الذى يختصّ بالرسول هو ما يرجع إلى خصوص التشريع، و أمّا ما يرجع إلى التسديد و نحوه فلا.
فكما أنّ قيام اللّه بالقسط منزّه عن الحالة الخاصّة البدنيّة كذلک سرّ القيام الملحوظ فى سرّ الصلاة منزّه عنها، و إن كان القيام المعتبر فى صورة الصلاة و ظاهرها هو عبارة عن تلک الحالة البدنيّة فالمصلّى المناجى ربّه المتمثّل بين يدى معبوده القائم بالقسط لا بدّ له من التمثّل بالقيام، إذ القلب القائم يظهر أثر قيامه فى القالب و الجوارح، كما أنّ خشوع القلب يتجلّى فيها، أى: فى الجوارح، لما روى عن أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام: أنّ رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- أبصر رجلا يعبث بلحيته فى صلاته، فقال: «إنّه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه» «1»، و لا ينافيه ما ورد عن رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- أنّه كان يمسّ لحيته أحيانا فى الصلاة، فقيل له يا رسول اللّه، نراک تمسّ لحيتک فى الصلاة؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله:
«إذا كثرت همومى» «2»، لأنّ المسّ هو غير العبث فلا ينافى الخشوع القلبىّ أوّلا، و أنّه نحو ابتهال و تضرّع لدى اللّه عند ازدحام الهموم ثانيا، و كان اهتمامه- صلّى اللّه عليه و آله- واحدا، و هو خروج القرآن عن الهجران، حيث اتّخذه قومه مهجورا، و إيمان قومه؛ لأنّهم كفروا باللّه و رسوله، و كان- صلّى اللّه عليه و آله- باخعا نفسه على آثارهم، لأنّهم لم يأمنوا بما جاء به أسفا عليهم، و لم تكن همومه للدنيا الّتى طلّقها وصيّه ثلاث تطليقات، فضلا عنه- صلّى اللّه عليه و آله- نفسه. هذا بعض ما يرجع إلى سرّ القيام فى الصلاة.
و أمّا الركوع و كذا السجود: فتأويله هو: أنّ المصلّى المناجى ربّه و إن أقام صلبه و قام لامتثال أمره تعالى و استقام و اعتدل و لكنّ ذلک كلّه بالقياس إلى ما يعدّ عدوا

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 47، عن الجعفريّات: ص 36.
(2) المصدر السابق: ص 48.

للّه و لأمره و نهيه من الشيطان الغوىّ، و النفس الأمّارة بالسوء، و الدنيا الغرور. و أمّا بالقياس إلى اللّه تعالى فكلّ قيام عنده قعود، و كلّ اعتدال عنده انحناء، و كلّ إقامة صلب عنده انكسار و نحو ذلک؛ لأنّ كلّ حىّ بالقياس إليه تعالى ميّت، و كلّ عليم بالقياس إليه جاهل، و كلّ قادر بالنسبة إليه عاجز، حيث إنّ كلّ شىء بالقياس إلى وجهه الباقى هالک، و لذلک قال أمير الموحّدين علىّ عليه السلام: «كلّ قوىّ غيره ضعيف، و كلّ مالک غيره مملوک، و كلّ عالم غيره متعلّم، و كلّ قادر غيره يقدر و يعجز، و كلّ سميع

غیره یصمّ عن لطیف الأصوات، و یصمّه کبیرها، و یذهب عنه ما بعد منها، و کلّ بصیر غیره یعمی عن خفیّ الألوان و لطیف الأجسام، و کلّ ظاهر غیره باطن، و کلّ باطن غیره غیر ظاهر.» «1».
فالمصلّی المناجی ربّه لا بدّ و أن ینحنی، و یرکع أو یسجد لیتمثّل ما هو السرّ فی مرحلة التنزّل، کما أنّ انحناء ظهره و مدّ عنقه للضرب و نحوه و إن کان رکوعا أو سجودا للّه تعالی و لکنّه بالقیاس إلی أعداء دین اللّه تعالی قیام و اعتدال، کما أنّ القیام نفسه و إن کان للذبّ عن الدین قیاما و لکنّه بالقیاس إلی القیّوم المحض انخفاض و انحطاط، حسبما یستفاد من قول مولی الموحّدین علیه السلام: «. غنی کلّ فقیر، و عزّ کلّ ذلیل، و قوّة کلّ ضعیف، إذ کلّ شیء له داخر و ساجد، و لا یملک شیء لشیء نفعا و لا ضرّا» «2».
فالقویّ بالقیاس إلیه تعالی ضعیف أوّلا، و بالقیاس إلی أحیاء أمره و الدفاع عن دینه و إن کان قویّا و لکن لا بالذات و بالأصالة، بل بالعرض و التبع ثانیا؛ لأنّ قوّته کانت باللّه الذی هو قوّة کلّ ضعف، فلا یلتبس الأمر علی أحد بأن یری نفسه مقتدرا، بل علی الإنسان أن یعقل أوّلا، و یقتدیه جمیع شئون إدراکه و تحریکه الّتی هی شیعة العقل و أمّته ثانیا، بأنّه- بحول اللّه تعالی و قوّته- یقوم و یقعد، و یعتدل، و ینحنی، و یذبّ و یصول، و ما إلی ذلک من الأوصاف الّتی یکون بعضها بالقیاس

---

(1) نهج البلاغة: الخطبة «65».
(2) نهج البلاغة: الخطبة «109».

إلی اللّه تعالی، و بعضها بالنسبة إلی الذبّ عن حرم دینه.
و حیث إنّ الرکوع و کذا السجود للّه سبحانه من الأجزاء الهامّة للصلاة و تمثّل للتذلّل فی فنائه فلذا قد یؤمر العبد بالصلاة نفسها کما فی غیر واحدة من الآیات الآمرة بها، و بإقامتها، و قد یؤمر بالرکوع و السجود کما فی قوله تعالی «یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا ارْکَعُوا وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّکُمْ وَ افْعَلُوا الْخَیْرَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ» «1».
و لمّا کان کلّ واحد من الرکوع و السجود تخضّعا فعلیّا- قد قرّر فی کلّ واحد منهما ما هو التخضّع القولیّ- فلذا شرع فیهما التسبیح حسبما فی العلل فی جعل التسبیح فیهما من التعلیل بأن یکون العبد مع خضوعه و خشوعه و تعبّده و تورّعه و استکانته و تذلّله و تواضعه و تقرّبه إلی ربّه مقدّسا ممجّدا شاکرا لخالقه و رازقه. «2».
و قد ورد فی تعدّد السجود و ذکره الخاصّ ما یشهد لما مرّ، حیث إنّه سئل أمیر المؤمنین- علیه السّلام- عن معنی السجود؟ فقال علیه السّلام: «اللهمّ منها خلقتنی، یعنی: من التراب، و رفع رأسک من السجود معناه: منها

أخرجتنى، و السجدة الثانية: و إليها تعيدنى، و رفع رأسک من السجدة الثانية: و منها تخرجنى تارة أخرى، و معنى قوله: سبحان ربّى الأعلى و بحمده: فسبحان: أنفة للّه، و ربّى: خالقى، و الأعلى: أى علا و ارتفع فى سماواته حتّى صار العباد كلّهم دونه، و قهرهم بعزّته، و من عنده التدبير، و إليه تعرج المعارج»، و قالوا عليهم السّلام أيضا فى علّة السجود مرّتين: «إنّ رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- لمّا أسرى به إلى السماء و رأى عظمة ربّه سجد، فلمّا رفع رأسه رأى من عظمته ما رأى، فسجد أيضا فصار سجدتين» «3».
فالمصلّى العارف بالسرّ يجعل ما ذكر أو يذكر فى توجيه أحكام الصلاة و أقوالها

_____
(1) الحجّ: 77.
(2) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 65، عن علل الشرائع: ص 570.
(3) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 65- 66.

و أفعالها ذريعة إلى شهود ما هو المخزون عند اللّه، المذخور لخواصّ أوليائه، من الأسماء الحسنى و الصفات العليا، ثمّ يصير إليها بعد أن سار إليها، إذ السير مقدّمة للصيرورة الّتى هى السرّ الواقعىّ للصلاة، و ما دون ذلک فكلّ ما قيل أو يقال لها فهى حكم و آداب و سنن لا مساس لها ذاتا بما هو سرّ الصلاة الذى هو الأمر العينىّ التكوينىّ، و أين هو من المفاهيم الذهنيّة، أو الأحكام الاعتبارية الّتى لا أثر لها فى الخارج عن نشأة الاعتبار؟
و حيث إنّ المصلّى يطوف حول كعبة العزّة بذلّته، و عرش الملكوت بالهوان، و كرسىّ الجبروت بالمهان، و لدى اللّه السبحان بالصغار فلذا لا يزين أحواله فى الصلاة، فهو عبد داخر فى الحالات كلّها، و بذلک يندرج تحت قوله تعالى: «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلىٰ جُنُوبِهِمْ.» «1».
كما أنّ الذى يقدر على القيام و لا يعجز عنه و كذا الذى يقدر على القعود و يعجز عن القيام، و هكذا القادر على الاضطجاع أو الاستلقاء العاجز عن القعود مندرج تحته، حسبما روى عن مولانا أبى جعفر- عليه السّلام- أنّه قال: «الصحيح يصلّى قائماً و قعودا، المريض يصلّى جالسا، و على جنوبهم: الذى يكون أضعف من المريض الذى يصلّى جالسا» «2». و عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «المريض يصلّى قائماً، فإن لم يستطع صلّى جالسا، فإن لم يستطع صلّى على جنبه الأيمن، فإن لم يستطع صلّى على جنبه الأيسر، فإن لم يستطع استلقى و أومأ إيماء و جعل وجهه نحو القبلة، و جعل سجوده أخفض من ركوعه» «3». و بذلک يظهر: أنّ الخضوع الذى هو روح الصلاة متجلّ فى جميع أحوالها، و هكذا فى جميع أفرادها. نعم، للركوع و السجود خصيصة تختصّ بهما، حيث ورد: «أنّ العبادة العظمى هى الركوع

و السجود» «4»،

_____

(1) آل عمران: 191.
(2) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 72- 76.
(3) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 72- 76.
(4) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 193.

و هما متلازمان؛ لأنّه لا يكون صلاة فيها ركوع إلّا و فيها سجود «1».
و كما أنّ تأويل مدّ العنق هو الإيمان باللّه و لو ضرب العنق فكذلک تأويل أصل الركوع هو ذاک، حسبما ورد عن أمير المؤمنين عليه السّلام: ما معنى الركوع؟ فقال عليه السّلام: «معناه: آمنت بک و لو ضربت عنقى» «2»، و يلائمه الذكر الندبىّ الوارد فيه كما عن مولانا أبى جعفر عليه السّلام: «إذا أردت أن تركع فقل و أنت منتصب: اللّه أكبر، ثمّ أركع و قل: اللّهمّ لک ركعت، و لک أسلمت، و بک آمنت، و عليک توكّلت، و أنت ربّى، خشع لک قلبى و سمعى و بصرى و شعرى و بشرى و لحمى و دمى و مخّى و عصبى و عظامى و ما أقلّته قدماى، غير مستنكف و لا مستكبر و لا مستحسر، سبحان ربّى العظيم و بحمده.» «3».
و الفرق بين أصل الركوع و مدّ العنق فيه بعد أن كان تأويلهما المشترک هو الإعلام بالإيمان- و لو بلغ ما بلغ- هو التفاوت فى الإعداد، و تهيئة المبادى و المقدّمات، و كما أنّ الركوع تخشّع للّه تعالى كذلک رفع الرأس منه تواضع «4» له تعالى، و انتصاب للامتثال حسبما مرّ، و للاهتمام بالركوع و السجود فى الصلاة.
قال إسحاق بن عمّار: سمعت أبا عبد اللّه- عليه السّلام- يعظ أهله و نساءه و هو يقول لهنّ: «لا تقلن فى ركوعكنّ و سجود كنّ أقلّ من ثلاث تسبيحات، فإنّكنّ إن فعلتنّ لم يكن أحسن عملا منكنّ» «5».
و الميز بين الركوع و السجود بعد أن كان سرّهما المشترک هو التذلّل فى فناء المعبود و الخضوع له هو: أنّ السجود لكونه أخفض تمثّل لما هو أقرب إلى اللّه سبحانه؛ لأنّ العبد كلّما تقرّب بالتواضع كان وصوله أكثر، و لذا ورد فى غير واحد من النصوص أنّه: «أقرب ما يكون العبد من اللّه- عزّ و جلّ- و هو ساجد مستشهدا

_____

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 195.
(2) المصدر نفسه: ص 199.
(3) المصدر نفسه: ص 196.
(4) المصدر نفسه: ص 223.
(5) المصدر نفسه: ص 209.

بآية سورة «العلق» الّتی هی من سور العزائم، إذ فيها قد أمر بالسجدة و التقرّب معا «1»، و للاهتمام بالسجود سمّی المصلّی مسجدا (إذا كان له عنوان خاصّ) و جعل المسجد الذی سمّی بذلک لرعاية أهمّ أجزاء الصلاة مبدأ للإسراء، حيث قال سبحانه «سُبْحٰانَ الَّذِی أَسْریٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَی الَّذِی بٰارَكْنٰا حَوْلَهُ» «2»، و هكذا جعل مبدأ للمعراج الّذی ابتدئ من المسجد الأقصی و انتهی إلی «ثُمَّ دَنٰا فَتَدَلّٰی. فَكٰانَ قٰابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنیٰ» «3»، كما أنّ أهمّ ما شوهد فی المعراج و تمثّل هنالک هو نجوی العبد و المولی فی كسوة الصلاة الّتی صلّاها العبد تجاه مولاه بأمره و إرشاده، و من ذلک صارت الصلاة معراجا للمصلّی المناجی ربّه كما تقدّم.
و ممّا يرشد إلی الاهتمام بالسجود هو: أنّ اللّه الذی يبصر كلّ شیء لا بجارحة و إن كان بصيرا بالإطلاق إلّا أنّه تعالی يعتدّ بخصوص القيام للّه تعالی و السجدة له، حيث قال تعالی «الَّذِی يَرٰاكَ حِينَ تَقُومُ. وَ تَقَلُّبَكَ فِی السّٰاجِدِينَ» «4». و لا مرية فی أنّ لذكر السجدة- كالقيام للّه- خصوصية، نحو: أنّ اللّه الذی يری كلّ شیء يصرّح برؤيته تعالی حالا خاصّا من أحوال العبد الّتی تبعّده من مولاه، قبال تلک الحالة الخاصّة الّتی كانت تقرّبه منه تعالی، حيث قال تعالی «أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللّٰهَ يَریٰ» «5» و ذلک ترغيب إلی الحياء من اللّه، فوق ترهيبه من عقوبته تعالی بالنار.
و الغرض: أنّ أبصار اللّه تعالی بدون جارحة يعمّ كلّ شیء، إلّا أنّ الاهتمام بأمر مرغوب فيه، أو مرهوب عنه يوجب التصريح بأنّ اللّه يراه، و من هذا القبيل هو تعرّض القيام للّه مع القائمين، و السجود له تعالی مع الساجدين، حيث إنّ كلّ واحد منهما بخصوصه مرئیّ له تعالی حسبما دلّت عليه الآية المارّة الذكر.
و ممّا ينبّه إلی الاعتداد بالسجود هو: أنّ اللّه سبحانه لم يكرّم آدم- عليه السّلام-

_____
(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 225.
(2) الإسراء: 1.
(3) النجم: 8 و 9.
(4) الشعراء: 218 و 219.
(5) العلق: 14.

أعظم من أمر الملائكة بالسجود له «1» و إن لم تكن تلک السجدة إلّا عبادة للّه و طاعة له، كما أنّ الأمر بالتوحيد العبودیّ، و مدار النهی عن الشرک العبادیّ هو: الأمر بالسجود للّه، و النهی عن السجود لغيره تعالی، كما أنّ

أساس عبادة الأشياء كلّها و طاعتها له تعالى هو: السجود حسبما دلّ عليه قوله تعالى «وَ لِلّٰهِ يَسْجُدُ مٰا فِى السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِى الْأَرْضِ» «2».
ثمّ إنّ الاعتناء بأمر المعاد قد أوجب أن يستدلّ اللّه تعالى له تارة، و يستشهد له اخرى، و يمثّل له ثالثة.
أمّا الاستدلال: فهو المستفاد من غير واحدة من الآيات الدالّة على إطلاق القدرة من ناحية الفاعل، و إمكان الإعادة كالبدء من ناحية القابل. و أمّا الاستشهاد: فهو المستنبط من غير واحدة من الآيات الدالّة على أنّ وزان الموت و البعث هو وزان النوم و اليقظة، نحو قوله تعالى «وَ هُوَ الَّذِى يَتَوَفّٰاكُمْ بِاللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ مٰا جَرَحْتُمْ بِالنَّهٰارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» «3». و أمّا التمثيل له: فهو ما تقدّم من تأويل السجود بأنّ الإنسان من تراب، ثمّ يعود فيه، ثمّ يبعث منه، فالمصلّى الساجد للّه فى كلّ ركعة مرّتين يتمثّل له المعاد الذى إليه يصير، فمن عثر على سرّ الصلاة يقف على مواقف القيامة و يراها كأنها قامت، و تدعو نارها من أعرض و تولّى، فيجد و يجاهد و يجتهد فى إخمادها، كما هو المأثور عن الإمام زين العابدين- عليه السّلام- من وقوع حريق فى حال صلاته عليه السّلام، و لم يلتفت إليه حتّى فرغ من صلاته، و قيل له عليه السّلام: ما الذى ألهاک عنها؟ قال عليه السّلام: ألهتنى عنها النار الكبرى «4». و الغرض: أنّ السجدتين تمثّلان للبدء و العود، فتدبّر تجد سرّه.
و ممّا يشهد للاستناد بالسجود فى نيل الفضل الخاصّ من الجنّة و الحشر مع أهل

---

(1) طه: 116.
(2) النحل: 49.
(3) الأنعام: 60.
(4) مناقب آل أبى طالب: ج 4 ص 150.

العصمة و نحو ذلک هو ما رواه الكلينىّ رحمه اللّه، عن أبى عبد اللّه- عليه السّلام- أنّه قال: مرّ بالنبىّ رجل و هو يعالج بعض حجراته، فقال: يا رسول اللّه، ألا أكفيک، فقال عليه السّلام: شأنک، فلمّا فرغ قال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:
حاجتک؟ قال: الجنّة، فأطرق رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- ثمّ قال: نعم، فلمّا ولّى قال له: يا عبد اللّه أعنّا بطول السجود «1»، لدلالته على أنّ للسجود و طوله دخلا فى الوصول إلى طول اللّه و فضله الخاصّ.
كما أنّ قوما أتوا رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- و قالوا: يا رسول اللّه، اضمن لنا على ربّک الجنّة، قال: فقال صلّى اللّه عليه و آله: «على أن تعينونى بطول السجود» «2» و بلائمه أيضا ما قاله- صلّى اللّه عليه و آله-

لربيعة بن كعب حيث سأله- صلّى اللّه عليه و آله- أن يدعو له بالجنة: «أعنّى بكثرة السجود» «3» و نحو ما قاله- صلّى اللّه عليه و آله- لرجل جاءه فقال: يا رسول اللّه، كثرت ذنوبى و ضعف عملى، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «أكثر السجود فإنّه يحطّ الذنوب كما تحتّ الريح ورق الشجر» «4» إذ المستفاد من نطاق هذه الطائفة الّتى أتينا ببعضها هو: أنّ لأصل السجود و لطوله و لكثرته سهما فى نيل الشفاعة بالوصول إلى الغفران عن الذنوب، و إلى الرضوان الإلهىّ، و هو الجنّة بدرجاتها، و معنى قول الرسول صلّى اللّه عليه و آله:
«أعنّى.» هو: أنّ العبد يستعين بالصلاة كما قال سبحانه «وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلاةِ» «5»، و هذه الاستعانة تكون لأمور شتّى، منها: الوصول إلى الشفاعة، و من أهمّ أجزاء الصلاة الّتى بها يستعان هو السجود، فمن صلّى و أطال سجوده فقد استعان للجنّة بالشفاعة بالصلاة و السجود، كما أنّ من أطال السجود فقد استعان به للحشر مع الرسول- صلّى اللّه عليه و آله- حسبما يستفاد ممّا رواه الديلمىّ، عن أمير المؤمنين- عليه السّلام- أنّه جاء إلى النبىّ- صلّى اللّه عليه و آله- فقال: علّمنى عملا يحبّنى اللّه، و يحبّنى المخلوقون، و يثرى اللّه مالى، و يصحّ بدنى، و يطيل عمرى،

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 227.
(2) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 227.
(3) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 227.
(4) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 227.
(5) البقرة: 45.

و يحشرنى معك، قال صلّى اللّه عليه و آله: «هذه ستّ خصال تحتاج إلى ستّ خصال، إذا أردت أن يحبّك اللّه فخفه و اتّقه، و إذا أردت أن يحبّك المخلوقون فأحسن إليهم و أرفض ما فى أيديهم، و إذا أردت أن يثرى اللّه مالك فزكّه، و إذا أردت أن يصحّ اللّه بدنك فأكثر من الصدقة، و إذا أردت أن يطيل اللّه عمرك فصل ذوى أرحامك، و إذا أردت أن يحشرك اللّه معى فأطل السجود بين يدى اللّه الواحد القهار» «1».
و حيث إنّ لطول السجود و كثرته فضلا خاصّا عدا ما لأصل السجود من الفضل، كان بين عينى علىّ بن الحسين السجاد- عليه السّلام- سجّادة كأنّها ركبة عين «2»، و كانت مواضع سجوده- عليه السّلام- كمبارك البعير «3».
و روى ابن طاوس، عن السجّاد- عليه السّلام- أنّه برز إلى الصحراء فتبعه مولى له، فوجده ساجدا على حجارة خشنة، فأحصى عليه ألف مرّة «لا إله إلّا اللّه حقّا حقّا، لا إله إلّا اللّه تعبّدا و رقّا، لا إله إلّا اللّه إيمانا و صدقا»، ثمّ رفع رأسه «4».

و لمّا كان لطول السجود و كثرته أثرا هامّا كثر سجود إبراهيم عليه السّلام، و لذا اتّخذه اللّه خليلا له كما قاله الصادق عليه السّلام «5». و طال سجود أبى عبد اللّه الصادق- عليه السّلام- حسبما قال منصور الصيقل: حججت فمررت بالمدينة، فأتيت قبر رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- فسلّمت عليه، ثمّ التفتّ فإذا بأبى عبد اللّه- عليه السّلام- ساجد، فجلست حتّى مللت، ثمّ قلت: لاسبّحنّ ما دام ساجدا، فقلت: سبحان ربّى العظيم و بحمده، أستغفر اللّه ربّى و أتوب إليه ثلاثمائة مرّة و نيفا و ستّين مرّة، فرفع رأسه ثمّ نهض «6». و قال حفص بن غياث «7»: رأيت أبا

_____

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 232.
(2) المصدر السابق: ص 231.
(3) المصدر السابق: ص 231.
(4) المصدر السابق: ص 231.
(5) المصدر السابق: ص 228.
(6) المصدر السابق: ص 235.
(7) المصدر السابق: ص 235.

عبد اللّه- عليه السّلام- يتخلّل بساتين الكوفة، فانتهى إلى نخلة فتوضّأ عندها، ثمّ ركع و سجد، فأحصيت فى سجوده خمسمائة تسبيحة، ثمّ استند إلى النخلة، فدعا بدعوات ثمّ قال: يا حفص، إنّها و اللّه النخلة التى قال اللّه- عزّ و جلّ- لمريم عليها السّلام:
«وَ هُزِّی إِلَیْکِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسٰاقِطْ عَلَیْکِ رُطَباً جَنِیًّا» «1».
و من هنا قال الصادق عليه السّلام: «السجود منتهى العبادة من بنى آدم» «2»، و قال سلمان الفارسىّ: «لو لا السجود للّه و مجالسة قوم يتلفّظون طيب الكلام كما يتلفّظ طيب الثمر لتمنّيت الموت» «3». و قد ورد فى مدح الساجدين قوله تعالى:
«سِیمٰاهُمْ فِی وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ» «4» لأنّ السجود الطويل أو الكثير يؤثّر فى الجبهة، فتنقش فيها سمة السجدة، و هكذا ورد فى قدح الفاقدين لسمة الإيمان و السجود قول أمير المؤمنين عليه السّلام: «إنّى لأكره للرجل أن أرى جبهته جلحاء ليس فيها أثر السجود» «5»، و الجلحاء هى الجبهة الّتى انحسر شعرها عن جانبى الرأس. و من طال سجوده أو كثر ينحسر شعره، أو تتّسم جبهته بما وصفه اللّه حسبما مرّ، و قد قال السجّاد- عليه السّلام- لقوم يزعمون التشيّع لأهل البيت عليهم السّلام:
«. أين السمة فى الوجوه؟ أين أثر العبادة؟ أين سيماء السجود؟ إنّما شيعتنا يعرفون بعبادتهم و شعثهم، قد قرحت منهم الآناف، و دثرت الجباه و المساجد» «6».

و السرّ فی ذلک کلّه- عدا ما تقدّم من أنّه تمثّل للبدء من التراب، و للعود فیه، و للنشور منه- هو ما قاله النبیّ صلّی اللّه علیه و آله: «إنّ الأرض الّتی یسجد علیها المؤمن یضیء نورها إلی السماء» «7»، و من المعلوم أنّ الأرض الغبراء الّتی تقلّ الساجد إنّما تضیء للسماء الخضراء الّتی تظلّه ببرکة السجدة الّتی سرّها الضیاء، فإذا کان السجود ضیاء کان الساجد أکثر ضیاء؛ لأنّ خیرا من الخیر فاعله، کما قاله

---

(1) مریم: 25.
(2) جامع أحادیث الشیعة: ج 5 ص 228.
(3) جامع أحادیث الشیعة: ج 5 ص 228.
(4) الفتح: 29.
(5) جامع أحادیث الشیعة: ج 5 ص 229.
(6) المصدر السابق: ص 232.
(7) المصدر السابق: ص 237.

آملی، عبد الله جوادی، أسرار الصلاة (للجوادی)، در یک جلد، دفتر انتشارات اسلامی وابسته به جامعه مدرسین حوزه علمیه قم، قم - ایران، اول، 1415 ه ق أسرار الصلاة (للجوادی)؛ ص: 69
أسرار الصلاة (للجوادی)، ص: 69
علیّ: «فاعل الخیر خیر منه» «1» إذ المؤثّر أقوی من أثره، و الفعل أضعف من فاعله، فإذا کان السجود وصفا بعنوان الحال للساجد، ثمّ صار ملکة له، ثمّ صار فصلا مقوّما لهویّته الأصلیّة بمعنی: ما لیس بخارج منه، لا لماهیته الاعتباریّة یصیر الساجد نورانیّا جعل له نور یمشی به فی الناس، و کفی بذلک سرّا للسجود، و لعلّ ما حکم بأنّ الساجد شکرا یری وجه اللّه تعالی «2» فإنّما هو بذلک الضیاء.
و قد ورد اختصاص السجود للّه تعالی، و انّ ما أتی به الملائکة لآدم علیه السّلام، و کذا ما فعله یعقوب علیه السّلام و ولده لیوسف علیه السّلام فإنّما کان ذلک کلّه سجودا للّه، و طاعة له تعالی، و ائتمارا بأمره سبحانه، و محبّة لآدم و فضیلة له، و کذا تحیّة لیوسف و تکرمة له علیه السّلام «3».
فتبیّن فی هذه الصلة أمور:
الأوّل: أنّ لفعل الصلاة کذکرها، سرّا، و أنّ الإنسان کون جامع للحضرات بأسرها، و أنّ تأویل القیام حال الصلاة هو الإعلام بالاستقامة تجاه أیّ عدوّ.
الثانی: أنّ من أحیا کلمة اللّه فهو قائم و إن کان قاعدا، و من قصّر فی إحیائها فهو قاعد و إن کان قائماً.
الثالث: أنّ القیام إنّما هو تمثّل للحالة الّتی بها یقدر المؤمن علی الذبّ عن الولیّ، أو الصول علی العدوّ.

الرابع: أنّ القائم بأمر اللّه تتنزّل عليه الملائكة المبشّرة الّتى قد يمكن أن يشاهدها السالک على صراط الاستقامة.
الخامس: أنّ سرّ القيام منزّه عن الحالة الجسميّة، كما أنّ القيام بمعنى: تحمّل أعباء الامتثال منزّه عنها و إن لم يخل من حالة ما بدنيّة.

---

(1) نهج البلاغة: قصار الحكم 32.
(2) روضة المتّقين: ص 388، و المحجّة البيضاء: ج 1 ص 348.
(3) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 289- 292.

السادس: أنّ خشوع القلب يتجلّى فى الجوارح، لأنّها أمته، و هو- أى: القلب- إمامها.
السابع: أنّ رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- إذا كثرت همومه فإنّه يمسّ لحيته فى الصلاة.
الثامن: أنّ الركوع و كذا السجود تمثّل للانقياد للّه تعالى، و أنّ ما كان قياما لمحاربة عدوّ اللّه فهو بعينه قعود و انخفاض لدى اللّه سبحانه، إذ كلّ قوّة بالقياس إليه تعالى ضعف، كما أنّ القعود للّه قيام على عدوّه.
التاسع: أنّ الاهتمام بالركوع و كذا السجود قد أوجب أن يؤمر بهما كما يؤمر بالصلاة، و أنّ ذكر الركوع و كذا السجود مناسب لفعلهما.
العاشر: أنّ السجود و تعدّده تمثّل للبدء من التراب، و العود فيه، و النشور منه.
الحادى عشر: أنّ المناجى ربّه لا ينساه فى حال من الأحوال، فلذا يذكره قائماً و قاعدا و مضطجعا.
الثانى عشر: كما أنّ مدّ العنق و اعتدال الظهر فى الركوع تمثّل للانقياد التامّ كذلک الذكر الندبىّ المأثور فى الركوع شاهد له.
الثالث عشر: أنّ ميز السجود عن الركوع بعد اشتراكهما فى أصل التذلّل هو: أنّ السجود لكونه أخفض فهو معدّ لأن يكون العبد أقرب من مولاه.
الرابع عشر: أنّ الاهتمام بالسجود قد أورث أن يسمّى مكان الصلاة بالمسجد دون غيره من الأجزاء، و أنّ المسجد هو المبدأ للإسراء أوّلا، و للمعراج ثانيا.
الخامس عشر: أنّ للسجود أثرا يهمّه الشرع بالتعرّض له دون غيره من أحوال الصلاة، و أنّ اللّه سبحانه كرّم آدم بأمر الملائكة بالسجود له، كما أنّه نهى عن السجود لغيره تعالى، و أنّ السجود- كما تقدّم- تمثّل للمعاد قبال الاستدلال له، و الاستشهاد عليه.
السادس عشر: أنّ لطول السجود إعانة للشفيع، و أثرا فى دخول الجنّة، كما أنّ

لكثرته أثرا هامّا فى حطّ الوزر، و هكذا له أثر فى الحشر مع الرسول صلّى اللّه عليه و آله.
السابع عشر: أنّ آثار السجدة الطويلة و الكثيرة كانت مشهودة بين عينى السجّاد عليه السّلام.
الثامن عشر: أنّ اللّه سبحانه قد اتّخذ إبراهيم خليلا له لطول السجود و كثرته.
التاسع عشر: أنّ الصادق- عليه السّلام- قد طال فى سجوده، و أنّ السجود منتهى العبادة، و أنّ المؤمن ينبغى أن يتّسم بالسجود، و يكره أن تكون جبهته جلحاء، و أنّ الشيعة هم الّذين سيماهم فى وجوههم من أثر السجود.
الموفى عشرين: أنّ مسجد المصلّى يضىء لأهل السماء، و أنّ الساجد قد جعل له نور يمشى به فى الناس.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 72

لا ريب فى أنّ النظام التكوينىّ إنّما هو على الطاعة و الهداية، و لا مجال للعصيان و الضلالة فيه؛ لأنّ زمام كلّ موجود تكوينىّ إنّما هو بيد اللّه سبحانه، و هو تعالى على صراط مستقيم، و كلّ ما كان زمامه بيد من هو على الصراط السوىّ فهو مهتد البتّة، و يستفاد ذلک من قوله تعالى «مٰا مِنْ دَابَّةٍ إِلّٰا هُوَ آخِذٌ بِنٰاصِيَتِهٰا إِنَّ رَبِّى عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ» «1» لدلالته على الأصلين المذكورين، و حيث إنّه لا مجال للتمرّد فى التكوين يكون كلّ موجود ممكنا فهو يأتى ربّه طائعا، كما يدلّ عليه قوله تعالى «فَقٰالَ لَهٰا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيٰا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قٰالَتٰا أَتَيْنٰا طٰائِعِينَ» «2». و الذى يشاهد من الضلالة و الغواية فإنّما هو فى التشريع، حيث إنّ المكلّف مختار فى طىّ السبيل السوىّ أو الغوىّ، و إنّما العبادة- سيّما الصلاة- قد شرّعت لتطابق النظامين، و قد شرّع فى الصلاة أحوال تمثّل النظام التكوينىّ من الطاعة و الهداية.

إنّ من تلک الأحوال الممثّلة للخضوع هو: القنوت، لأنّه ابتهال و تضرّع، و تبتّل تجاه الربّ الجليل، و حيث إنّ اللّه جواد لا يخيّب آمله و لا يردّ سائله، قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: «ما أبرز عبد يده إلى اللّه العزيز الجبّار إلّا أستحيى اللّه- عزّ و جلّ- أن يردّها صفرا حتّى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء، فإذا دعا أحدكم

---

(1) هود: 56.

(2) فصّلت: 11.

فلا يردّ يده حتّى يمسح على وجهه» «1» هذا عدا ما يذكر فى القنوت ممّا يدلّ على ضراعة العبد و مسكنته و كونه ذا متربة لاصقا به، غير قادرة على القيام عنها، نحو ما فى دعاء قنوت الوتر «. ربّ أسأت.، فهذه يداى يا ربّ جزاء بما كسبت، و هذه رقبتى خاضعة لما أتيت.» «2».

و للاهتمام بالقنوت الممثّل لما هو السرّ التكوينىّ، المورث للتطابق بينه و بين النظام التشريعىّ قال مولانا الحسين بن علىّ عليهما السلام: «رأيت رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- يقنت فى صلاته كلّها و أنا يومئذ ابن ستّ سنين» «3» فهو- عليه السّلام- بحيث يحضر فى صلوات جدّه- صلّى اللّه عليه و آله- كلّها، و كان زكيّا و ذكيّا، و مراقبا و محاسبا، حتّى يتبيّن له ما يأتيه جدّه صلّى اللّه عليه و آله، إذ الناس مأمورون بأخذ الأحكام من سنّته- صلّى اللّه عليه و آله- و سيرته. و لهذا الاعتداد بالقنوت قال مولانا الصادق عليه السّلام: «من ترک القنوت متعمّدا فلا صلاة له» «4»، أى: لا كمال لها؛ لأنّ الصلاة إنّما هى للهداية الى ما هو النظام التكوينىّ من الطاعة التامّة و

الهداية البالغة، و القنوت الذى هو مظهر تامّ للتبتّل و الابتهال موجب لكمالها، فإذا ترک القنوت فيها فتفقد- حينئذ- كما لها النهائىّ.
و أمّا التشهّد فأصله قد تمثّل فى المعراج، حيث إنّه لمّا أراد رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- ليقوم قيل: يا محمّد، اجلس، فجلس، فأوحى اللّه إليه: يا محمّد، إذا ما أنعمت عليک فسمّ باسمى، فألهم أن قال: بسم اللّه، و باللّه، و لا إله إلّا اللّه، و الأسماء الحسنى كلّها للّه، ثمّ أوحى اللّه إليه: يا محمّد، صلّ على نفسک و على أهل بيتک، فقال صلّى اللّه عليه و آله: صلّى اللّه علىّ و على أهل بيتى «5».

_____

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 319.
(2) المصدر السابق: ص 322.
(3) المصدر السابق: ص 303.
(4) المصدر السابق: ص 302.
(5) المصدر السابق: ص 339.

و تأويل التشهّد حسبما فى رواية جابر هو تجديد الإيمان، و معاودة الإسلام، و الإقرار بالبعث بعد الموت. و تأويل قراءة التحيّات هو تمجيد الربّ سبحانه و تعظيمه عمّا قال الظالمون و نعته الملحدون «1».
و قد تقدّم أنّ سرّ تعدّد السجود هو الإقرار بالبدء من التراب و العود فيه و النشور منه، فإذا جلس المصلّى للتشهّد فكأنّه قد انبعث من مرقده، فيقرّ بالبعث بعد الموت، و يتكلّم هنا بالتعليم الإلهىّ ما يشاهده هنالک بعد الانبعاث من الجدث، فكما أنّ للقرآن تأويلا فيأتى ذلک التأويل يوم القيامة كما أخبره اللّه تعالى كذلک للتشهّد سرّ عينىّ، و تأويل تكوينىّ يتجلّى ذلک السرّ يوم القيامة؛ لأنّ فى ذلک اليوم تبلى السرائر و الأسرار، كما أنّ النظام الاعتبارىّ ينطوى بساطه ببسط النظام الحقيقىّ.
و للجلوس حال التشهّد كيفيّة مندوب إليها، و هو التورّک برفع الرجل اليمنى على اليسرى، و تأويله كما فى مرسلة الفقيه: «اللّهمّ أمت الباطل و أقم الحقّ» «2»، لأنّ اليمنى مظهر الحقّ و الصدق، و اليسرى كناية عن الباطل و الكذب، و لقد روعى هذا الأمر فى الآداب و السنن لتكون كلمة اللّه هى العليا، و إلّا فالمؤمن كلتا رجليه يمنى، كما أنّ كلتا يديه كذلک؛ لأنّه من أصحاب اليمين و الميمنة، كما أنّ غير المؤمن كلتا رجليه يسرى و كلتا يديه كذلک، و الأصل فى ذلک كلّه ما ورد فى حقّ اللّه سبحانه من أنّ كلتا يديه يمين، مع أنّه لا يد و لا أيّة جارحة اخرى هنالک لتنزّهه تعالى عمّا يدركه الطرف أو يحسّه الحسّ.
و حيث إنّ ولاية أهل البيت- عليهم السّلام- هى العلّة الوسطى لدوام الفيض من اللّه الذى لا يشركه فى أمره أحد و لا شىء أمر بلحاظها فى التشهّد،

كما أمر بعنايتها فى افتتاح الصلاة، و كما أنّ أصل الصلاة لا تقبل بدون الولاية كذلک صلاة من ترک التصلية على أهل البيت- عليهم السّلام- مردودة و إن كان المصلّى وليّا

_____

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 340.
(2) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 340.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 75
لهم، كما يستفاد من رواية جابر الجعفىّ حيث قال: سمعت أبا عبد اللّه- عليه السّلام- يقول: «إذا صلّى أحدكم فنسى أن يذكر محمّدا و آله فى صلاته سلک بصلاته غير سبيل الجنّة، و لا تقبل صلاة إلّا أن يذكر فيها محمّد و آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله» «1».
و عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: «من صلّى صلاة لم يصلّ فيها علىّ و على أهل بيتى لم تقبل منه» «2».
و فى رواية زرارة، عن الصادق عليه السّلام: «أنّ من تمام الصوم إعطاء الزكاة كالصلاة على النبىّ- صلّى اللّه عليه و آله- من تمام الصلاة» «3» و حيث إنّ الصلاة على النبىّ- صلّى اللّه عليه و آله- بدون الصلاة على أهله بتراء فالصلاة عليهم أجمعين من تمام الصلاة، كما أنّ بالولاية كمل الإسلام، و تمّ نصاب النعمة الإلهيّة، و صار الإسلام الولائىّ مرضيّا للّه سبحانه حسبما فى آية من المائدة «4».
ثمّ إنّ للقيام من السجدة أدبا له تأويل، و له ذكر ذو سرّ، أمّا القيام من السجدة فى الركعة الثانية الّتى لها جلوس و تشهّد فمسبوق بالقعود، و لا كلام فيه، و أمّا فى الركعة الاولى و كذا الثالثة من الرباعيّة اللتين لا تشهّد فيهما فليس للمصلّى أن ينهض من السجود إلى القيام بلا جلوس، بل عليه أن يجلس مطمئنا، ثمّ يقوم، كما فى التهذيب، عن أمير المؤمنين- عليه السّلام- حيث قال: «إنّما يفعل ذلک- أى:
النهوض بلا جلوس- أهل الجفاء من الناس، إنّ هذا- أى: الجلوس ثمّ النهوض- من توقير الصلاة» «5»، و فى المستدرک عن مولانا أبى الحسن عليه السّلام: «إذا رفعت رأسک من آخر سجدتک فى الصلاة قبل أن تقوم فاجلس جلسة، ثمّ بادر بركبتک إلى الأرض قبل يديک، و ابسط يديک بسطا و اتّک عليهما ثمّ قم، فإنّ ذلک

_____

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 337.
(2) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 337.
(3) المصدر السابق: ص 336.
(4) و هى من قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ.».
(5) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 286.

وقار المرء المؤمن الخاشع لربّه، و لا تطیش من سجودک مبادرا إلی القیام کما یطیش هؤلاء الأقشاب فی صلاتهم» «1».
إنّ الصلاة الاعتباریّة المعهودة تحکی واقعیّتها المعنیّة الّتی لها آثار جمّة، فتکون مکرّمة، و کرامتها تقتضی توقیرها، و الجلوس مطمئنا حافظ لتوقیرها، فلجلوس تأویل یستظهر عند ظهور واقعیّة الصلاة، و هو یوم یطوی فیه بساط الاعتبار کطیّ السجلّ.
و أمّا الذکر حال القیام من الجلوس فهو: بحول اللّه تعالی و قوّته أقوم و أقعد «2»، و سرّه هو: أنّ النظام العینیّ التکوینیّ الذی به یعیش الإنسان المتفکّر المختار منزّه عن دم إفراط التفویض، و مبرّأ عن روث تفریط الجبر، بل هو لبن خالص سائغ للشاربین، لکونه منزلة بین تینک المنزلتین المشؤومتین، فالمفوّض یقول: لا حول و لا قوّة للّه فیما یفعله الإنسان فی شئونه الإرادیّة، و الجبریّ یقول: لا حول و لا قوّة إلّا للّه فی ذلک، و القائل بالاختیار، المصون عن ذینک المحذورین یقول: لا حول و لا قوّة إلّا باللّه، فهو یثبت للإنسان حولا بحول اللّه تعالی، و قوّة بقوّته، فالذکر الذی یأتیه المصلّی حین النهوض إلی القیام بعد الجلوس حاو لأصل کلّیّ متحقّق فی جمیع شئونه الإرادیّة بلا خصیصة له بحال الصلاة، کما لا اختصاص له بحال القیام حسبما أخذ فی متن الذکر أیضا، إذ قعود الإنسان أیضا بحول اللّه و قوّته، کما أنّ قیامه بذلک، و ذلک السرّ التکوینیّ یتجلّی یوم القیامة الّتی یظهر فیها ما هو الباطن، و هنالک یتّضح بطلان طرفی المتوسّط من الجبر و التفویض، و کون المتوسّط بینهما حقّا.
و هذا الذی قدّمناه هو المستفاد من قول مولانا الصادق علیه السّلام: «کان أمیر المؤمنین- علیه السّلام- یبرأ من القدریّة فی کلّ رکعة و یقول: بحول اللّه و قوّته أقوم

---

(1) جامع أحادیث الشیعة: ج 5 ص 286.
(2) جامع أحادیث الشیعة: ج 5 ص 293- 295.

و أقعد» «1».
و أمّا التسلیم: فأصله قد تمثّل فی المعراج، حیث إنّ رسول اللّه- صلّی اللّه علیه و آله- لمّا أتی بما أمر به من الجلوس و التصلیة التفت فإذا بصفوف من الملائکة و المرسلین و النبیّین، فقیل: یا محمّد، سلّم علیهم، فقال: السلام علیکم و رحمة اللّه و برکاته، فأوحی اللّه- عزّ و جلّ- إلیه أنّ السلام و التحیّة و الرحمة و البرکات أنت و ذرّیّتک «2».
و تأویل السلام هو الترحّم کما عن أمیر المؤمنین- علیه السّلام- حیث قال: «و تأویل قولک: السلام علیکم و رحمة اللّه و برکاته ترحّم عن اللّه سبحانه،

فمعناها:
هذه أمان لكم من عذاب يوم القيامة»، ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «من لم يعلم تأويل صلاته هكذا فهى خداج، أى: ناقصة» «3».
و فى العلل: «فإن قال: فلم جعل التسليم تحليل الصلاة و لم يجعل بدلها تكبيرا أو تسبيحا أو ضربا آخر؟ قيل: لأنّه لمّا كان الدخول فى الصلاة تحريم الكلام للمخلوقين و التوجّه إلى الخالق كان تحليلها كلام المخلوقين، و الانتقال عنها، و ابتداء المخلوقين فى الكلام أوّلا بالتسليم» «4».
و أيضا فى العلل: عن الصادق- عليه السّلام- لمّا سئل عن العلّة الّتى من أجلها وجب التسليم فى الصلاة، قال عليه السّلام: لأنّه تحليل الصلاة، (قال المفضّل بن عمر:) قلت: فلأىّ علّة يسلّم على اليمين و لا يسلّم على اليسار؟ قال عليه السّلام:
لأنّ الملك الموكّل الذى يكتب الحسنات على اليمين و الذى يكتب السيّئات على اليسار، و الصلاة حسنات ليس فيها سيّئات، فلهذا يسلّم على اليمين دون اليسار، قلت: فلم لا يقال: السلام عليک، و الملک على اليمين واحد، و لكن يقال: السلام عليكم؟ قال عليه السّلام: ليكون قد سلّم عليه و على من على اليسار، و فضل

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 46.
(2) المصدر نفسه: ص 11.
(3) المصدر نفسه: ص 61.
(4) المصدر نفسه: ص 68.

صاحب اليمين عليه بالإيماء إليه. إلى أن قال المفضّل: قلت: فلم صار تحليل الصلاة التسليم؟ قال عليه السّلام: لأنّه تحيّة الملكين، و فى إقامة الصلاة بحدودها و ركوعها و سجودها و تسليمها سلامة للعبد من النار، و فى قبول صلاة العبد يوم القيامة قبول سائر أعماله، فإذا سلمت له صلاته سلمت جميع أعماله، و إن لم تسلم صلاته و ردّت عليه ردّ ما سواها من الأعمال الصالحة «1».
و عن معانى الأخبار، عن عبد اللّه بن الفضل الهاشمىّ قال: سألت أبا عبد اللّه- عليه السّلام- عن معنى التسليم فى الصلاة، فقال: التسليم علامة الأمن و تحليل الصلاة، قلت: و كيف ذلک جعلت فداک؟ قال: كان الناس فيما مضى إذا سلّم عليهم وارد أمنوا شرّه، و كانوا إذا ردّوا عليه أمن شرّهم، فإن لم يسلّم لم يأمنوه، و إن لم يردّوا على المسلّم لم يأمنهم، و ذلک خلق فى العرب، فجعل التسليم علامة للخروج من الصلاة، و تحليلا للكلام، و أمنا من أن يدخل فى الصلاة ما يفسدها، و السلام اسم من أسماء اللّه عزّ و جلّ، و هو واقع من المصلّى على ملكى اللّه الموكّلين به.

إنّ السلام اسم من الأسماء الحسنى الإلهيّة، و هو اسم فعلىّ لا ذاتىّ، فهو ينتزع من فعل اللّه لا من ذاته. و حيث إنّ فعل اللّه صادر منه فهو خارج عنه، مفتقر إليه، فعليه لا غرو فى إطلاقه على المظهر التامّ الإلهىّ، أى: الإنسان الكامل نحو آل البيت عليهم السّلام، فعليه لا تنافى بين قوله تعالى: «هُوَ اللّٰهُ الَّذِى لٰا إِلٰهَ إِلّٰا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلٰامُ.» «2» و بين ما تقدّم من تطبيق السلام على الرسول- صلّى اللّه عليه و آله- و آله عليهم السّلام. و لمّا كانت الجنّة دارا للّه الذى هو السلام فصحّ أن يقال لها: إنّها دار السلام، كما أنّها بنفسها تتّصف بالسلامة أيضا، إذ لا لغو فيها و لا تأثيم، فبذلك يظهر معنى قوله تعالى «لَهُمْ دٰارُ السَّلٰامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ» «3»، و يتنزّل ذلك السلام من ربّ رحيم، كما فى سورة يس

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 68.
(2) الحشر: 23.
(3) الأنعام: 127.

«آية 58» «سَلٰامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ»، فمن كان من أولى العزم و كان أعزم من غيره- نحو: نوح عليه السّلام حيث إنّه تحمّل أعباء الرسالة ألفا إلّا خمسين عاما- كان سلام اللّه عليه أوسع من سلامه تعالى على غيره، إذ لم يرد فى حقّ غيره ما ورد فى حقّه من السلام العالمىّ؛ لأنّ القرآن قد نطق فى حقّه فقط بقول اللّه تعالى:
«سَلٰامٌ عَلىٰ نُوحٍ فِى الْعٰالَمِينَ» «1»، و أمّا فى حقّ غيره فلا يوجد فيه عنوان «العالمين».
و الملائكة يسلّمون على المؤمنين و يقولون لهم «سَلٰامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» «2»، و تحيّة أهل الجنّة بعضهم لبعض إنّما هى بالتسليم، كما قال اللّه تعالى «دَعْوٰاهُمْ فِيهٰا سُبْحٰانَكَ اللّٰهُمَّ وَ تَحِيَّتُهُمْ فِيهٰا سَلٰامٌ» «3».
و هكذا تحيّة رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- لمن جاءه يتعلّم منه معالم دينه، كما قال اللّه تعالى «وَ إِذٰا جٰاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيٰاتِنٰا فَقُلْ سَلٰامٌ عَلَيْكُمْ» «4»، و هؤلاء على صنفين:
أحدهما: من يتسلّم السلام من اللّه و يرى الرسول- صلّى اللّه عليه و آله- وسيطا فى إبلاغه، و هو الأوحدىّ من أهل الإيمان.
ثانيهما: من يتسلّمه من نفس الرسول- صلّى اللّه عليه و آله- و لا يرى من هو أعلى منه و إن كان يعتقده، و هو الأوسطىّ منهم، و على أىّ تقدير يكون مجلس دراسة الرسول صلّى اللّه عليه و آله- الذى يعلّم الناس الكتاب و الحكمة، و يزكّيهم- هو مجلس السلامة، كما أنّ ليلة القدر- الّتى أنزل فيها القرآن، و تنزّل الملائكة فيها بإذن ربّهم من كلّ أمر سلام- أيضا.
و الذى لا ينبغى الذهول عنه هو: أنّ السلام الجدّىّ إنّما يتمشّى فى اللقاء

الجديد، فمن كان مصاحبا لشخص و يكون مشغول الذكر به لا يسلّم عليه، بخلاف من كان غائبا ثمّ حضر فإنّه يتمشّى منه التسليم، و حيث إنّ المصلّى قد اسرى

_____

(1) الصافّات: 79.
(2) النحل: 32.
(3) يونس: 10.
(4) الأنعام: 54.

و عرج به، و كان مناجيا ربّه، غائبا عن الأرض و أهلها، بل عن ما سوى اللّه، فإذا أتمّ النجوى و اذن له الهبوط إلى الأرض و الحشر مع أهلها فهو حينذاک جديد الورود، و حديث اللقاء، فيتمشّى منه التسليم، و أمّا المصلّى الذى كان ساهيا عن صلاته، مشغول السرّ بالأرض و أهلها فلم يكن غائبا عنهم حتّى يحدث له اللقاء، و يصحّ منه التسليم، فلذا قال بعض الحافّين حول المعرفة ما معناه: كيف لا يستحى المصلّى الذى له الويل لسهوه عن صلاته فى التسليم، و لفظه: و اعلم: أنّ السلام لا يصحّ من المصلّى إلّا أن يكون مناجيا ربّه، غائبا عن كلّ ما سوى اللّه.، فإذا أراد الانتقال من تلک الحالة الى حالة مشاهدة الأكوان و الجماعة سلّم عليهم سلام القادم؛ لغيبته عنهم فى صلاته عند ربّه، فإن كان المصلّى لم يزل مع الأكوان و الجماعة فكيف يسلّم عليهم؟ فهلّا أستحيى هذا المصلّى حيث يرى بسلامه أنّه كان عند اللّه! فسلام العارف من الصلاة؛ لانتقاله من حال الى حال، فيسلّم تسليمتين: تسليمة على من ينتقل عنه، و تسليمة على من قدم عليه، إلّا أن يكون عند اللّه فى صلاته فلا يسلّم على من انتقل عنه؛ لأنّ اللّه هو السلام، فلا يسلّم عليه «1».

فتبيّن فى هذه الصلة أمور:

الأوّل: أنّ النظام التكوينىّ يدور مدار الهداية البحتة، بخلاف التشريعىّ منه؛ لتطرّق الضلالة فيه؛ لتمرّد بعض الناس عمّا هداه اللّه إليه.

الثانى: أنّ القنوت ممثّل لما عليه التكوين من الذلّة و الضراعة للّه سبحانه، و أنّ القانت غير خائب؛ لأنّ المسؤول جواد لا يخيّب سائله.

الثالث: أنّ رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- كان يقنت فى صلواته كلّها، و أنّ الصلاة الفاقدة للقنوت غير كاملة.

الرابع: أنّ التشهّد قد تمثّل أصله فى المعراج، و الهم الرسول- صلّى اللّه عليه

_____

(1) الفتوحات المكّيّة: ج 1 ص 432.

و آله- بما قاله فيه.
الخامس: أنّ تأويل التشهّد هو: تجديد الإيمان و الإقرار بالبعث بعد الموت، و تأويل التحيّات هو: تعظيم الربّ عمّا نعته الملحدون.
السادس: أنّ سرّ التورّک و تأويله هو: إقامة الحقّ و إماتة الباطل.
السابع: أنّ المؤمن كلتا يديه يمين، و كلتا رجليه يمنى؛ لأنّه مظهر للّه الذى ورد فى وصفه أنّ كلتا يديه يمين.
الثامن: أنّ ولاية أهل البيت- عليهم السّلام- هى العلّة الوسطى لأصل الفيض و دوامه و إن كانت العلّيّة الحقيقية منحصرة فى اللّه تعالى، و أنّ الصلاة الفاقدة للصلاة عليهم- عليهم السّلام- غير مقبولة.
التاسع: أنّ للقيام من السجدة الأخيرة أدبا، و له ذكر و سرّ. و أنّ الجلوس قبل النهوض الى القيام توقير للصلاة، و تركه جفاء لها.
العاشر: أنّ الجبر و التفويض تفريط و إفراط، و أنّ المنزلة الوسطى بينهما هو اللبن الخالص المصون عن دم الإفراط و روث التفريط.
الحادى عشر: أنّ قعود العبد كقيامه باللّه، و أنّه لو لا حول اللّه تعالى و قوّته لما قدر العبد على القعود، كما لم يقدر على القيام.
الثانى عشر: أنّ الحوقلة الطاردة لطرفى الإفراط و التفريط جارية فى جميع الشّؤون بلا اختصاص لها بالصلاة.
الثالث عشر: أنّ أمير المؤمنين- عليه السّلام- كان يبرأ بالحوقلة فى كلّ ركعة من القدريّة.
الرابع عشر: أنّ سرّ الحوقلة يظهر يوم تبلى فيه السرائر و الأسرار، و هو يوم قيام الحقّ بساقه.
الخامس عشر: أنّ التسليم قد تمثّل أصله فى المعراج، و الهم الرسول- صلّى اللّه عليه و آله- بما يقول فيه.
السادس عشر: أنّ تأويل السلام هو الترحّم و الأمان، و أنّ الدخول فى الصلاة

كان بتحريم الكلام الآدمىّ، و الخروج منها بتحليله.
السابع عشر: أنّ علّة اختصاص التسليم باليمين هو: التوجّه الى كاتب الحسنات، و سبب التعبير فيه بالجمع هو: شموله لمن فى اليسار من الملک، و أنّ فى سلامة الصلاة سلامة سائر الأعمال.
الثامن عشر: أنّ عادة العرب قد استقرّت على إحساس الأمن بالتسليم، و أنّ السلام أمن للصلاة من الفساد.
التاسع عشر: أنّ السلام من الأسماء الفعليّة للّه، و أنّ الإنسان الكامل مظهر له، و أنّ الملائكة يسلّمون على المؤمن التقىّ النقىّ، و أنّ السلام العالمىّ إنّما اختصّ فى القرآن بنوح عليه السّلام، و أنّ الرسول- صلّى اللّه عليه و آله- مأمور بالتسليم على من يجيئه لتعلّم المعارف.

الموفى عشرين: أنّ المصلّى المناجى ربّه، الغائب عمّا سواه يتمشّى منه التسليم، و أنّ المصلّى الساهى الذى له الويل لم يكن غائبا عمّا سواه حتّى يقدم عليهم، فكيف يتمشّى منه التسليم؟ إلّا أنّه كان مرائيا، حيث إنّه بسلامه يرى أنّه كان مناجيا ربّه، غائبا عمّن عداه فقدم فسلّم، و الذى يراه المرائى و يريه أنّه يعبد الحقّ هو: السراب الذى يحسبه الظمآن ماء.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 83

إنّ الصلاة متقوّمة فى داخلها بالنجوى؛ لأنّ المصلّى يناجى ربّه، فليست الصلاة إلّا النجوى، و محفوفة فى حاشيتيها بالدعاء؛ لأنّ المصلّى يستقبل صلاته، و كذا يعقبها بذلک، فليست المقدّمة و لا المؤخّرة إلّا الدعاء؛ و ذلک لأنّ العبد التامّ هو الذى يكون متقوّما بالنجوى، و محفوفا بالدعاء القادم و الغابر، إذ لا يجد العبد فى ذاته إلّا الفيض الإلهىّ الخاصّ الذى قوّمه، و لا يشاهد ما بين يديه و لا ما خلفه إلّا الجود الإلهىّ الذى تقدّم عليه و تأخّر منه، فليس هو نفسه إلّا فيضا محفوفا بالجود، و يمثّل كيانه الخاصّ بالصلاة المحفوفة بالدعاء و المسألة.

و الأصل فى ذلک: هو ما قالته الملائكة الّذين هم عباد مكرمون، لا يسبقون اللّه فى القول، و هم بأمره يعملون، فلا يشاهدون إلّا معبودهم، حيث قالوا «وَ مٰا نَتَنَزَّلُ إِلّٰا بِأَمْرِ رَبِّکَ لَهُ مٰا بَيْنَ أَيْدِينٰا وَ مٰا خَلْفَنٰا وَ مٰا بَيْنَ ذٰلِکَ وَ مٰا كٰانَ رَبُّکَ نَسِيًّا» «1»، لدلالة هذه الآية الكريمة على أمور:

الأوّل: أنّ نزول الملک إنّما هو بأمره الذى إذا أراد شيئا يقول له: كن، فيكون، و حيث إنّ الصعود كالنزول فلا يتصعّدون إلّا بأمره تعالى.

الثانى: أنّ ما تقدّم الملک و سبقه ممّا كان وجوده- أى: الملک- يتوقّف عليه فهو للّه تعالى.

---

(1) مريم: 64.

الثالث: أنّ ما تأخّره و لحقه ممّا كان وجوده- أى: الملک- سببا له و مؤثّرا فيه- لتوقّف ذلک الشىء على وجوده- فهو للّه تعالى.

الرابع: أنّ ما تخلّل بين ذلک القادم و هذا الغابر- أى: نفس وجود الملک المحفوف بما تقدّم عليه، و بما تأخّر عنه- فهو للّه تعالى، و هذا الأمر الرابع غامض غايته، و لا ينكشف إلّا لمن شاهد صمديّة اللّه تعالى، و أجوفيّة ما عداه و اعتماله، و إلّا لمن تدبّر قوله تعالى «وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ» «1»، إذ القلب هو الأصل المحقّق لموجوديّة الإنسان، فإذا كان اللّه الذى لا حدّ لوجوده حائلا بين الإنسان و نفسه بلا امتزاج يكون خارجا عنه أيضا بلا تزايل، و لا خصيصة لذلک بالإنسان، بل يعمّه، و الملک و الفلک من الذرّة إلى الدرّة، و من الثرى الى الثريا، و أىّ موجود من الثقلين. فعليه، لو شاهد أىّ شىء ما شاهدته الملائكة لقال أيضا ما قالته هؤلاء الكرام، من: أنّ للّه سبحانه ما تقدّم، و ما تأخّر، و ما تخلّل بين السابق و اللاحق، فلا يبقى هناک إلّا وجه اللّه الباقى، و يظهر فناء ما عداه البالى.

و الحاصل: أنّ المصلّى المناجى ربّه يتحلّى بحلية الصلاة، و يتصوّر بصورتها،

و الصلاة ليست إلّا المناجاة مع اللّه، و لا حقيقة للنجوى إلّا وجه اللّه الباقى، فلا سهم للصلاة الّتى اتّحد بها المصلّى إلّا شهود وجه اللّه، الحافّ للصلاة بحدودها الداخليّة، و حواشيها الخارجيّة، و من هنا يظهر سرّ فاتحة الصلاة السابقة عليها، و سرّ خاتمتها اللاحقة لها، و لعلّه لذا قال اللّه سبحانه «فَإِذٰا فَرَغْتَ فَانْصَبْ. وَ إِلىٰ رَبِّکَ فَارْغَبْ» «2»، أى: إذا فرغت من صلاتک (علَى احتمال) فانصب نفسک لإدامة العبادة بتعقيبها، و لتكن رغبتک إليه تعالى دون ما عداه، و حيث إنّ الرهبة على وزان الرغبة فإذا انحصرت الرغبة إلى اللّه تعالى، لإفادة تقديم الجارّ ذلک تنحصر الرهبة فيه تعالى؛ لأنّ مساقهما واحد. و قد روى مسعدة بن صدقة، عن أبى جعفر- عليه السّلام- أنّه قال فى قوله تعالى: «فَإِذٰا فَرَغْتَ. إلى آخره» أى: إذا قضيت

_____

(1) الأنفال: 24.
(2) الانشراح: 7 و 8.

الصلاة. فانصب فى الدعاء «1».
و لمّا لم يعيّن للتعقيب أمد خاصّ، كما أنّه لم يحدّد للاستقبال زمان مخصوص، و كان أىّ شىء يأتى على العبد السالک سبيل معبوده إنّما هو واجب أو مستحبّ، و لا ينافى ما يفعله ما يقوله و يدعو به و يتلوه فهو دائم فى صلاته، فلذا يصحّ له أن يقول متأسّيا بمواليه الكرام الّذين جعلهم اللّه أسوة حسنة للناس «إِنَّ صَلاٰتِی وَ نُسُکِی وَ مَحْيٰایَ وَ مَمٰاتِی لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ» «2»، و هذا العبد الصالح لا يهتمّ إلّا بوجه اللّه، فهو من روح اللّه كما نطق به الصادق المصدّق عليه السّلام، ناقلا عن رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- أنّه: «من أصبح من أمّتى و همّه غير اللّه فليس من اللّه» «3»، لدلالته على أنّ همّه هو اللّه فهو منه تعالى، أى: من وجهه الخاصّ.
و قد جعل لذلک ميزان القسط يزن به كلّ سالک نفسه، حتّى يتبيّن له أنّه من اللّه الباقى، أو من غيره الهالک، و هو قول الصادق عليه السّلام: «من أراد أن يعلم ما له عند اللّه فلينظر ما للّه عنده» «4»، إذ القلب مرآة لمقلّب القلوب، كما أنّه تعالى أيضا مرآة للقلب، بل لكلّ ما عداه، حيث إنّه ينكشف به كلّ ما عداه، فمن أراد أن يرى ماله عند اللّه فليتدبّر فى قرآن قلبه الذى: إن كان صالحا يكتب اللّه تعالى فيه الإيمان، و يؤيّده بروح منه، فإذا شاهد مرآة قلبه و تدبّرها يرى ما انطبع فيها، أو تمثّل لها ممّا هو عند اللّه؛ لأنّ قلب المؤمن مرآة للّه الذى هو المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر، فينعكس فيها ما فى مرآة ربّه، فيعلم: أنّ له عند اللّه شأنا من اللّه، و هو عنده تعالى وجيه أم لا. و هذا السالک و إن كان همّه هو اللّه و لا يهتمّ بما عداه و لكنّه بعد يشاهد فى مرآة قلبه ماله عند اللّه، فهو الآن يشاهد قلبه و ما فيه الحاكى

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 356.
(2) الأنعام: 162.
(3) المحاسن للبرقىّ: ج 1 ص 324 طبع المجمع العالمىّ لأهل البيت عليهم السّلام.
(4) المصدر السابق.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 86
ما عند اللّه، فهو بعد لم يصل الى حدّ لا يرى غير اللّه تعالى.
و حيث إنّ التعقيب كلفة زائدة على الصلاة الواجبة الّتى هى بنفسها تكون كبيرة إلّا على الخاشعين، مع ما له من الأثر الهامّ فى دوام العبادة، ورد فى حقّه عن الصادق عليه السّلام: «ما عالج الناس شيئا أشدّ من التعقيب» «1»، و للاهتمام بأمر التعقيب قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: «من أدّى للّه تعالى مكتوبة فله فى أثرها دعوة مستجابة» «2»، و قال الصادق عليه السّلام: «ثلاث أوقات لا يحجب فيها الدعاء عن اللّه تعالى: فى أثر المكتوبة، و عند نزول المطر، و ظهور آية معجزة للّه فى أرضه» «3»، و قال- عليه السّلام- أيضا: «من صلّى صلاة فريضة و عقّب إلى أخرى فهو ضيف اللّه عزّ و جلّ، و حقّ على اللّه أن يكرم ضيفه» «4»، بل قد نهى عن ترك التعقيب؛ لإيهامه الاستغناء عن اللّه تعالى، حسبما روى عن النبىّ- صلّى اللّه عليه و آله- أنّه قال: «إذا فرغ العبد من الصلاة و لم يسأل اللّه حاجته يقول اللّه تعالى لملائكته: انظروا إلى عبدى، فقد أدّى فريضتى و لم يسأل حاجته منّى، كأنّه قد استغنى عنّى، خذوا صلاته فاضربوا بها وجهه» «5».
و حيث إنّ للتعقيب مراتب فقد ورد فى جواب من سأل الصادق عليه السّلام:
إنّى أخرج (فى الحاجة) و أحبّ أن أكون معقّبا، أنّه- عليه السّلام- قال: «إن كنت على وضوء فأنت معقّب» «6» هذا مجمل القول فى أصل التعقيب و رجحانه. و أمّا ما ورد فى تعيينه و نبذ من إسراره ففى ما يلى:
نقل حريز، عن زرارة، عن أبى جعفر- عليه السّلام- قال: «إذا سلّمت فارفع

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 356، عن التهذيب.
(2) المصدر السابق: ص 357.
(3) المصدر نفسه: ص 358.
(4) المصدر نفسه: ص 359.
(5) المصدر نفسه: ص 361.
(6) المصدر نفسه: ص 362.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 87
يديک بالتكبير ثلاثا» «1»، و لعلّ سرّ الرفع هو: تمثّل الرفع الوجودىّ بالرفع

الصوریّ، و تمثّل أیضا لرفع الحجاب کما مرّ فی الفاتحة، و لعلّ سرّ التثلیث هو: ما أشیر إلیه فی ثنایا البحث المتقدّم من: أنّ سرّ تکرار کلمة «وحده» ثلاثا فی کلمة التوحید هو: التنبّه للمراحل الثلاث من التوحید الذاتیّ و الوصفیّ و الفعلیّ، و هکذا هنا، حیث یتبیّن أنّ اللّه سبحانه أکبر من أن یشرکه شیء فی الذات، أو الوصف، أو الفعل.
و لا ینافی ذلک ما ورد فی حقّ تسبیح فاطمة الزهراء- علیها السّلام- من أنّه:
«ما عبد اللّه بشیء من التمجید أفضل من تسبیح فاطمة علیها السّلام، و لو کان شیء أفضل منه لنحله رسول اللّه- صلّی اللّه علیه و آله- فاطمة علیها السّلام» «2». و قال علیه السّلام: «من سبّح تسبیح فاطمة- علیها السّلام- فقد ذکر اللّه الذکر الکثیر» «3»، و لأنّ ذلک کلّه بمنزلة شرح المتن، و بسط المقبوض، و التغایر بینهما إنّما هو بالإجمال و التفصیل، و للاهتمام بتسبیح فاطمة علیها السّلام.
قال الصادق علیه السّلام: «إنّا نأمر صبیاننا بتسبیح فاطمة- علیها السّلام- کما نأمرهم بالصلاة.» «4».
و قد أمر فی التعقیب بأمور ناجحة نافعة، و أنجحها و أنفعها ما یرجع إلی التوحید و الولایة و إن کان مآل الکلّ هو التوحید، و قد أکّد بقراءة آیة الکرسیّ الحاویة للاسم الأعظم، و قد وعد بقراءتها بما تقرّ به العیون، حیث إنّه روی عن رسول اللّه- صلّی اللّه علیه و آله- أنّه قال: «من قرأ آیة الکرسیّ عقیب کلّ فریضة تولّی اللّه- جلّ جلاله- قبض روحه، و کان کمن جاهد مع الأنبیاء- علیهم السّلام- حتّی استشهد» «5»، و لم یرغّب فی التعقیب بقراءة سورة المسد «تَبَّتْ یَدا أَبِی لَهَبٍ.»

_____

(1) جامع أحادیث الشیعة: ج 5 ص 364.
(2) المصدر نفسه: ص 365.
(3) المصدر نفسه: ص 365.
(4) المصدر نفسه: ص 368.
(5) المصدر نفسه: ص 384.

بمثل ما ورد فی سورة التوحید، أو آیة الکرسیّ و نحو ذلک، و هکذا ما ورد فی التصلیة علی أهل بیت النبوّة و العصمة علیهم السّلام؛ لأنّهم مظاهر للاسم الأعظم، و مجالی للولایة الإلهیّة.
و روی الشیخ أبو الفتوح الرازیّ فی تفسیره، عن أمیر المؤمنین علیّ- علیه السّلام- أنّه قال: «رأیت رسول اللّه- صلّی اللّه علیه و آله- علی أعواد هذا المنبر و هو یقول: من قرأ آیة الکرسیّ عقیب کلّ فریضة ما یمنعه من دخول الجنّة إلّا الموت، و لا یواظب علیه إلّا صدّیق أو عابد، و من قرأها عند

منامه آمنه اللّه فی نفسه و بیته و بیوت من جواره» «1».
و المراد من المنع: هو الحجب، إذ المؤمن یرث الفردوس حسب درجاته من العالی و الأعلی، و لا یحجبه عن هذا التراث الإلهیّ إلّا حفظ الحیاة الدنیویّة، فإذا فارقها بالموت الطبیعیّ دخل إلیه و ورثه، کما أنّ من فارقها بالموت الإرادیّ ناله أیضا. و یؤیّده ما ورد من: «أنّ الإقرار بإمامة أهل البیت- علیهم السّلام- هو الجنّة، و من أقرّ بها کان فی الجنّة» «2».
و لیعلم: أنّه قد تجلّی فی موطنه أنّ کلّ ذکر إلهیّ هو حیّ مسبّح، و أنّ سرّه العینیّ کان مستقرّا فی العرش، و أنّ تنزّله: عبارة عن تدلّی الأمر التکوینیّ العالی من الوجود الإلهیّ إلی العقلیّ، و منه إلی المثالیّ، و منه الی الطبیعیّ المتبلور فی نشأة الاعتبار بالوجود اللفظیّ، فإن قرع سمعک أنّ بعض الآیات حین الهبوط إلی الأرض تعلّق بالعرش، و قال: ما سأل الملائکة ممّا یشعر بوجود الخطأ فی الأرض و أهلها فذره فی بقعة الإمکان، أی: الاحتمال العقلیّ، ثمّ البرهان النیّر یهدی إلی الإمکان الفلسفیّ المقابل للاحتمال المذکور؛ لأنّ ذلک بمعنی: ما لم یدلّ دلیل علی امتناعه، لا ما قام الدلیل القیّم علی إمکانه المقابل له و للوجوب، ثمّ یساعده العرفان

_____

(1) جامع أحادیث الشیعة: ج 5 ص 384، عن مستدرک الوسائل، عن تفسیر أبی الفتوح.
(2) المحاسن للبرقیّ: ج 1 ص 262.

و الکشف الصحیح المنصور بالمأثور من الوحی، و إلیک نموذج من ذلک:
روی الکلینیّ- رحمه اللّه- فی جامعه.، عن یعقوب بن شعیب، عن أبی عبد اللّه- علیه السّلام- قال: لمّا أمر اللّه- عزّ و جلّ- هذه الآیات أن یهبطن إلی الأرض تعلّقن بالعرض، و قلن: أی ربّ، إلی أین تهبطنا؟ إلی أهل الخطایا و الذنوب؟ فأوحی اللّه- عزّ و جلّ- إلیهنّ: اهبطن، فو عزّتی و جلالی، لا یتلوکنّ أحد من آل محمّد- صلّی اللّه علیه و آله- و شیعتهم فی دبر ما افترضت علیه من المکتوبة فی کلّ یوم إلّا نظرت إلیه بعینی المکنونة فی کلّ یوم سبعین نظرة، أقضی له فی کلّ نظرة سبعین حاجة، و قبلته علی ما فیه من المعاصی، و هی: «أمّ الکتاب»، و «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلائِکَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ»، و «آیة الکرسیّ» و «آیة الملک» «1». فمن قرأها و ذکرها عقیب مناجاته مع اللّه لعلّه یترقّی من وجودها الاعتباریّ إلی الحقیقیّ الطبیعیّ أوّلا، و إلی المثالیّ ثانیا، و إلی العقلیّ ثالثا، و فوق ذلک ما لا یناله إلّا الأوحدیّ الفانی فی الباقی، الغافل عمّا عداه، الساهی عمّا سواه، فالتعقیب البالغ: هو الذی نال سرّه العقلیّ، فمعه یتعلّق بالعرش، کما أنّ سرّ تلک الآیات و الأذکار المأثورة کان متعلّقا به.
و ممّا لا ینبغی الذهول عنه هو: أن المؤثّر فی النفس و العین لا بدّ و أن

يكون موجودا عينيّا فوق الموجود المتأثّر العينىّ، كما أنّ المتأثّر إنّما يتأثّر من الموجود العينىّ الفائق، إذ لا أثر للوجود اللفظىّ، أو المفهوم الذهنىّ، فالمؤثّر هو: سرّ العلم الدارج فى الكتب و الأفواه و الأذهان، كما أنّ المتأثّر إنّما هو قلب من تأثّر من سرّ العلم و روحه، لا مفهومه، فلذا كان رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- يدعو فى أثر الصلاة فيقول: «اللّهمّ إنّى أعوذ بک من علم لا ينفع، و قلب لا يخشع، و نفس لا تشبع، و دعاء لا يسمع، اللّهمّ إنّى أعوذ بک من هؤلاء الأربع» «2».

---

(1) الكافي: ج 2 ص 620 ح 2.
(2) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 394.

فالمطلوب المرغوب فيه هو: سرّ العلم و روحه، و المزهود فيه هو: جسد العلم و بدنه الظاهر باللفظ أو الكتابة أو المفهوم الذهنىّ فقط، و لمّا كان السرّ الغائىّ هو التوحيد، و وعاؤه الواقى هو العقل الجامع، و الاذن الواعية، و القلب المعمور بالذكر، و النفس المسرورة بالطاعة و.

روى معاوية بن وهب البجلىّ قال: وجدت فى ألواح أبى بخطّ مولانا موسى ابن جعفر عليهما السّلام: «أنّ من وجوب حقّنا على شيعتنا: أن لا يثنوا أرجلهم من صلاة الفريضة، أو يقولوا: اللّهمّ ببرّک القديم و رأفتک ببريّتک اللطيفة، و شفقتک بصنعتک المحكمة، و قدرتک بسترک الجميل و علمک صلّ على محمّد و آل محمّد، و أحيى قلوبنا بذكرک، و اجعل ذنوبنا مغفورة، و عيوبنا مستورة، و فرائضنا مشكورة، و نوافلنا مبرورة، و قلوبنا بذكرک معمورة، و نفوسنا بطاعتک مسرورة، و عقولنا على توحيدک مجبورة، و أرواحنا على دينک مفطورة، و جوارحنا على خدمتک مقهورة، و أسماءنا فى خواصّک مشهورة، و حوائجنا لديک ميسورة، و أرزاقنا من خزائنک مدرورة، أنت اللّه الذى لا إله إلّا أنت، لقد فاز من والاک، و سعد من ناجاک، و عزّ من ناداک، و ظفر من رجاک، و غنم من قصدک، و ربح من تاجرک، و أنت على كلّ شىء قدير، اللّهمّ و صلّ على محمّد و آل محمّد، و اسمع دعائى كما تعلم فقرى إليک، إنّک على كلّ شىء قدير» «1».

و حيث كان الهدف السامى من العبادة هو: لقاء اللّه كتب مولانا محمّد بن علىّ الرضا- عليهما السّلام- الى محمّد بن الفرج فى الانصراف من صلاة مكتوبة:

«. أسألک الرضا بالقضاء، و بردّ العيش بعد الموت، و لذّة النظر إلى وجهک، و شوقا إلى لقائک من غير ضرّاء مضرّة و لا فتنة مضلّة.» «2».

و حيث إنّ لقاء اللّه مع كماله و جماله أجلّ من أن يناله، عدا الأوحدىّ الفارغ عمّا يشغله عن اللقاء، و هو صعب على من اعتاد بما عدا، و أنس بما سوى، أوصى

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 397.
(2) المصدر نفسه: ص 401.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 91
الصادق- عليه السّلام- الى رجل سأله: من آنس به فى آخر عمره؟ بقوله عليه السّلام: «فعليک بالدعاء، و أن تقول عقيب كل صلاة: اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد، اللّهمّ إنّ الصادق الأمين- عليه السّلام- قال: إنّک قلت: ما تردّدت فى شىء أنا فاعله كتردّدى فى قبض روح عبدى المؤمن، يكره الموت و أكره مساءته، اللّهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد، و عجّل لوليّک الفرج و العافية و النصر، و لا تسؤنى فى نفسى و لا فى أحد من أحبّتى.» «1».
و لمّا كان الحديث ناظرا إلى مقام الفعل لا الوصف الذاتىّ فضلا عن الذات لا ضير فى تطرّق التردّد إليه، مع أنّه قد فسّر له فى الحكمة المتعالية عند البحث عن القدرة بما لا يخلو عن الدقّة فراجع.
و ليعلم: أنّ للنيل إلى السرّ المكتوم أسبابا و عللا خفيّة، موطنها عقيب الصلاة الّتى ناجى بها العبد مولاه، فيستعدّ حينذاک للوصول إلى بعض السرّ، و من تلک الأسباب: هى الأذكار المأثورة، و الأوراد الواردة الّتى أشير إلى نبذ منها، و من تلک العلل هو: قضاء أوطار العباد المحاويج، و حلّ معضلاتهم، و لذا كان رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- إذا صلّى الغداة استقبل القبلة بوجهه إلى طلوع الشمس يذكر اللّه عزّ و جلّ، و يتقدّم علىّ بن أبى طالب- عليه السّلام- خلف النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و يستقبل الناس بوجهه فيستأذنون فى حوائجهم، بذلک أمرهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «2».
ثمّ إنّ من سنن التعقيب سجدة الشكر، و سرّ السجود هو التذلّل المتمثّل به، كما أنّ سرّ الركوع هو التعظيم، و سرّ الطواف هو التفدية المتمثّل ذلک بهما.
و قد نقل فى توقيع مولانا صاحب العصر عليه السّلام أنّ: «سجدة الشكر من ألزم السنن و أوجبها، و لم يقل: إنّ هذه السجدة بدعة إلّا من أراد أن يحدث فى دين اللّه بدعة.» «3».

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 404.
(2) المصدر نفسه: ص 438.
(3) المصدر نفسه: ص 453.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 92
و من علل اصطفاء موسى الكليم- عليه السّلام- هو: توغّله فى التذلّل للّه، المتجلّى ذلک بإلصاقه- عليه السّلام- خدّه الأيمن و الأيسر بالأرض بعد

الصلاة، و حيث علم موسى- عليه السّلام- أنّ اللّه اصطفاه لتذلّله زاد فى ذلّته فخرّ ساجدا، و عفر خدّيه فى التراب، فأوحى اللّه إليه: ارفع رأسک يا موسى، و أمرّ يدک موضع سجودک، و امسح بها وجهک، و ما نالته من بدنک فإنّه أمان من كلّ سقم و داء و آفة و عاهة «1».
و لمّا كان سرّ السجود هو التذلّل للّه تعالى، و التذلّل له موجب للتقرّب منه كما فى آخر سورة اقرأ- و ذلک لأنّ المتذلّل للّه لا يحجبه شىء، فإذا لم يكن له حجاب، و كان الراحل إلى اللّه قريب المسافة، كما فى دعاء أبى حمزة الثمالىّ- فهو يصل إلى لقاء اللّه، و من كان أذلّ فى نفسه للّه فهو أقرب منه، و كما فى دعاء زين العابدين- المعروف بالسجّاد-: «و أنا بعد أقلّ الأقلّين، و أذلّ الأذلّين، و مثل الذرّة أو دونها» «2». فهو- عليه السّلام- أقرب الأقربين، و أعزّ الأعزّين لدى اللّه سبحانه.
و حيث إنّه لا ميز فى الأصول العامّة الهامّة للإمامة فأئمّة أهل البيت- عليهم السّلام- كلّهم على هذا المنهج القويم، بل قد روى فى أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام: «إنّه كان أوّل من سجد للّه شكرا، و أول من وضع وجهه على الأرض بعد سجدته من هذه الأمّة بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله» «3»، و كان علىّ- عليه السلام- يقول فى سجوده: «أناجيک يا سيّدى كما يناجى العبد الذليل مولاه.» «4».
و حيث إنّ حياة كلّ ذكر من التهليل و التحميد و التسبيح و التكبير إنّما هى

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 452.
(2) الصحيفة السجّاديّة: دعاء 47 ص 262 طبع مؤسسة النشر الإسلامى- قم.
(3) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 476.
(4) المصدر السابق: ص 458.

بسرّه، كما أنّ احياء كلّ ذكر لما هو ميّت فى حجاب ذاته و وضعه و فعله إنّما هو بذلک السرّ، و كان ذكر الإمام المعصوم- عليه السّلام- و سجوده حيّا بسرّه، لذا كان ذكره محييا للأموات، و موقظا للنيام و إن كان كلّ شىء حيّا متيقّظا فى باطنه.
و من هذا القبيل: ما روى عن سعيد بن المسيّب قال: كان القوم لا يخرجون من مكّة حتّى يخرج علىّ بن الحسين سيّد العابدين عليه السّلام، فخرج فخرجت معه، فنزل فى بعض المنازل و صلّى ركعتين، فسبّح فى سجوده فلم يبق شجر و لا مدر إلّا سبّحوا معه، ففزعنا، فرفع- عليه السّلام- رأسه و قال: يا سعيد، أفزعت؟
فقلت: نعم، يا ابن رسول اللّه، فقال عليه السّلام: هذا التسبيح الأعظم. «1».

و الذى يمكن القول فى تأثير مثل هذا التسبيح الأعظم: أوّلا: هو تعليم الشجر و المدر و نحو هما بلسان التكوين، بما هو لم يكن معلوما له قبل ذلک و إن كان أصل التسبيح معلوما و مقدورا له.
و ثانيا: هو تأويب ذلک مع الإمام المعصوم- عليه السّلام- تأسّيا به كما تأسّى بداود- عليه السّلام- حين أمر اللّه سبحانه بذلک، كما قال تعالى «يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ» «2» فقد اجتمعوا معه، و ذكروا اللّه و وحّدوه معه كما هو المعروف فى الائتمام بإمام الجماعة.
و ثالثا: هو رفع الحجاب و الغطاء عن إسماع هؤلاء الّذين كانوا مع السجّاد عليه السّلام، و أبصارهم، حتّى سمعوا تسبيح الشجر و المدر و فقهوا ذلک، بعد ما كانوا جاهلين به، كما قال سبحانه «إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّٰا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لٰكِنْ لٰا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» «3»، إلى غير ذلک ممّا يمكن أن يناله المتدبّر فى سرّ التسبيح الأعظم و تأثيره فى الكيان، حينما يعترف بأنّه غير مختصّ بالإمام المعصوم- عليه السّلام- و إن كان الحدّ السامى منه مخصوصا بأهل العصمة عليهم السّلام،

---

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 460.
(2) سبأ: 10.
(3) الإسراء: 44.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 94
و الغرض: هو أنّ العبد إذا أحسّ ذلّته و أدركها و اعترف بها و تذلّل لمولاه الذى له العزّة جميعا ينال ما أعدّ له من العزّة العرضيّة، و يقول كما كان الصادق- عليه السّلام- يقول و هو ساجد: «سجد وجهى اللئيم لوجه ربّى الكريم» «1».
ثمّ إنّه من كان يريد العزّة فليعلم: أنّ العزّة للّه جميعا، و لا ينال شيئا منها إلّا بنفيها عن نفسه و عن غيره، أى: عمّا سوى اللّه، و ذلک إنّما يتجلّى فى السجود المشفوع بما يمثّل الذلّة، حتّى يقترن الفعل و القول، و يشهدا على صاحبهما بالذلّة الصادقة، الموجبة لاكتساب العزّة الّتى هى بالعرض للرسول و للمؤمنين، و لعلّ من هذا القبيل ما قاله الصادق- عليه السّلام- لإسحاق بن عمّار: «إنّى كنت أمهّد لأبى فراشه، فأنتظره حتّى يأتى، فإذا أوى إلى فراشه و نام قمت إلى فراشى، و أنّه أبطأ علىّ ذات ليلة، فأتيت المسجد فى طلبه، و ذلک بعد ما هدأ الناس، فإذا هو فى المسجد ساجد، و ليس فى المسجد غيره، فسمعت حنينه، و هو يقول: «سبحانک اللّهمّ أنت ربّى حقّا حقّا، سجدت لک يا ربّ تعبّدا و رقّا، اللّهمّ إنّ عملى ضعيف فضاعفه لى، اللّهمّ قنى عذابک يوم تبعث عبادک، و تب علىّ إنّک أنت التوّاب الرحيم» «2».
و لقد تأسّى بهؤلاء المعصومين عليهم السّلام- الّذين هم ساسةِ العباد و

قادتهم، و أركان البلاد و أعمدتها، بحيث لولاهم لساخت الأرض بأهلها- غير واحد من الصحابة فى طول السجود، و التذلّل المستمر. و إليک نبذ من نزر:
قال الفضل بن شاذان: دخلت العراق فرأيت واحدا يعاتب صاحبه و يقول له:
أنت رجل عليک عيال، و تحتاج أن تكتسب عليهم، و ما آمن أن تذهب عيناک لطول سجودک، فلمّا أكثر عليه قال: أكثرت علىّ، ويحک، لو ذهبت عين أحد من السجود لذهبت عين ابن أبى عمير، ما ظنّک برجل سجد سجدة الشكر بعد صلاة

_____

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 463.
(2) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 464.
أسرار الصلاة (للجوادي)، ص: 95
الفجر فلا يرفع رأسه إلّا عند الزوال «1»؟
و عن الفضل بن شاذان: أنّه دخل على محمّد بن أبى عمير و هو ساجد، فأطال السجود، فلمّا رفع رأسه ذكر له الفضل طول سجوده، فقال: كيف لو رأيت جميل ابن درّاج؟ ثمّ حدّثه أنّه دخل على جميل بن درّاج، فوجده ساجدا فأطال السجود جدّا، فلمّا رفع رأسه قال له محمّد بن أبى عمير: أطلت السجود؟ فقال: و كيف لو رأيت معروف بن خربوذ «2»؟
و نقل الفضل بن شاذان ما مثاله: أنّ الحسن بن علىّ بن فضّال كان أعبد أهل عصره و أطول سجودا من غيره «3».
إيّاک و التعجّب ممّا ذكر أو يذكر فى هذ الأمر؛ لأنّ المحبّ يلتذّ بمناجاة محبوبه، و أقرب الحال هو السجود المتجلّى فيه التذلّل المستلزم للرقى.
فتبيّن فى هذه الخاتمة أمور:
الأوّل: أنّ قوام الصلاة هو النجوى مع اللّه، و قادمها و غابرها الدعاء، و أنّ المصلّى الشاهد لفقره الذاتىّ و الوصفىّ و الفعلىّ لا يجد فى نفسه إلّا فيض مولاه المحيط به من بين يديه و ما خلفه و ما بين ذلک. كما أنّ الملک المقرّب أيضا كذلک.
الثانى: أنّ التعقيب موجب لدوام الصلاة و امتدادها، بحيث يكون المصلّى المعقّب دائما فى صلاته.
الثالث: أنّ قلب المؤمن مرآة صدق، يرى به السالک ما للّه عنده و ما له عند اللّه تعالى.
الرابع: أنّ الدعاء مستجاب حال التعقيب، و أنّ ترک الدعاء و المسألة عقيب الصلاة موهم للاستغناء عن اللّه.
الخامس: أنّ للتعقيب مراتب، و أنّ المصلّى ما دام متطهّرا فهو فى التعقيب.

_____

(1) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 455.
(2) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 455.
(3) جامع أحاديث الشيعة: ج 5 ص 455.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 96
السادس: أنّ سرّ رفع الأيدى بالتكبير هو: تمثّل الرفقة المعنويّة بالرفع الصورىّ، و تمثّل لرفع الحجاب أيضا، و أنّ تثليثه للمراحل الثلاث من التوحيد.
السابع: أنّ تسبيح فاطمة- عليها السّلام- هو: الذكر الكثير، و أنّ أهل البيت- عليهم السّلام- كانوا يأمرون صبيانهم بذلک.
الثامن: أنّ أنجح ما أمر به فى التعقيب هو: ما يرجع إلى التوحيد و الولاية.
التاسع: أنّ الموت الإرادىّ كالطبيعىّ سبب لمشاهدة نتيجة قراءة آية الكرسىّ فى التعقيب.
العاشر: أنّ الاعتراف بإمامة أهل البيت- عليهم السّلام- هو الجنّة، و أنّ المعترف بها فى الجنّة و إن لم يعلم بذلک.
الحادى عشر: أنّ كلّ ذكر إلهىّ هو حىّ ناطق مسبّح، و أنّ سرّه التكوينىّ قد تدلّى و تدنّى إلى الوجود الطبيعىّ، و منه إلى الوجود الوضعىّ الاعتبارىّ بعد تنزّله و تطوّره فى المراحل السابقة.
الثانى عشر: أنّ التأثير الخارجىّ للذكر إنّما هو بلحاظ سرّه العينىّ، لا وجوده اللفظىّ، أو الكتبىّ، أو مفهومه الذهنىّ.
الثالث عشر: أنّ العلم النافع: هو السرّ التكوينىّ لا ما عداه، و أنّ رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- كان يعوذ باللّه فى التعقيب من الأربع، و أنّ لقاء اللّه هو المطلوب بعد الصلاة عند الأئمّة عليهم السّلام.
الرابع عشر: أنّ التردّد منتزع من فعل الواجب، لا من وصفه الذاتىّ فضلا عن الذات، و أنّ تردّده تعالى فى قبض روح المؤمن له وجه معقول و مقبول.
الخامس عشر: أنّ قضاء و طر المحاويج إذا كان للّه فهو معدود من التعقيب.
السادس عشر: أنّ سجدة الشكر من ألزم السنن فى التعقيب، و أنّ السجود تمثّل للذلّة، كما أنّ الركوع تمثّل للعظمة، و أنّ الطواف تمثّل للتفدية.
السابع عشر: أنّ موسى الكليم- عليه السّلام- كان أذلّ أهل عصره للّه تعالى، و أنّ اصطفاءه كان لذلک، و أنّ الرحلة إلى اللّه تعالى قريبة المسافة.
أسرار الصلاة (للجوادى)، ص: 97
الثامن عشر: أنّ الإمام المعصوم- عليه السّلام- يكون أذلّ العباد للّه فى عصره، فلذا يكون أرفعهم عند اللّه، و أنّ عليّا- عليه السّلام- هو أوّل من

سجد شكرا للّه بعد الرسول صلّى اللّه عليه و آله.
التاسع عشر: أنّ تسبيح الإمام المعصوم- عليه السّلام- موجب لتسبيح الشجر و المدر و تأويبهما معه- عليه السّلام- فيه، و أنّ المؤثّر فى ذلک هو: سرّ الذكر، لا لفظه، و لا مفهومه الذهنىّ، و أنّ النيل إلى ذلک المقام ليس وقفا للمعصوم عليه السّلام.
الموفى عشرين: أنّ طريق الوصول إلى العزّة هو التذلّل المتمثّل بالسجود، و أنّ غير واحد من الصحابة قد تأسّوا بأهل البيت- عليهم السّلام- فى طول السجود.
و لنختم الرسالة بالوصيّة لنفسى و لمن بلغته هذه الرسالة: بأنّ الذهول عن اللّه رين، و أنّ الصلاة لكونها ماء الحياة سبب لغسل الدرن و الرين، كما نقله علىّ- عليه السّلام- عن رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- فى قوله عليه السّلام: «شبّهها- أى: الصلاة- رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و آله- بالحمّة تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها فى اليوم و الليلة خمس مرّات، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن» «1»، فالذكر الذى يحصل بالصلاة مزيل لأىّ رين، و قد اعتنى فى يوم الجمعة بصلاتها لأجل الذكر، و إليک بعض ما يرتبط بذلک:
الأوّل: كون صلاة الجمعة مصداقا كاملا للذكر، حيث قال تعالى «يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا نُودِىَ لِلصَّلٰاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلىٰ ذِكْرِ اللّٰهِ» «2».
الثانى: الأمر بالسعى إلى ذكر اللّه، أى: صلاة الجمعة، و ترک كلّ ما سواها، إذ لا خصيصة للبيع، بل لا بدّ من ترک أىّ شىء ينافيها.
الثالث: النهى عن الإعراض عن ذكر اللّه- أى: صلاة الجمعة- كما فى سورة المنافقين، حيث قال تعالى فيها:

_____

(1) نهج البلاغة: الخطبة «199».
(2) الجمعة: 9.

«يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاٰ تُلْهِكُمْ أَمْوٰالُكُمْ وَ لاٰ أَوْلاٰدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللّٰهِ» «1».
الرابع: رجحان قراءة سورتى: الجمعة و المنافقين فى صلاتها، للاشتمال على تلک النكات المارّة.
و للاعتناء بالصلاة الّتى هى عمود الدين قال تعالى فى حقّ المنافقين «وَ إِذٰا قٰامُوا إِلَى الصَّلٰاةِ قٰامُوا كُسٰالىٰ» «2» يعنى: أنّ هؤلاء لا يعبدون اللّه أصلا، سواء فى ذلک الصلاة و ما عداها: كالصوم و الحجّ و.، و قد اكتفى فى ذلک كلّه بعدم نشاطهم فى الصلاة، و هكذا قيل فى السكران، لقوله تعالى «لاٰ تَقْرَبُوا الصَّلٰاةَ وَ أَنْتُمْ سُكٰارىٰ حَتّٰى تَعْلَمُوا مٰا تَقُولُونَ» «3»، و حيث إنّ الساهى الذى يستحقّ الويل بمنزلة السكران الذى لا يدرى ما يأتى، فهو أيضا منهى عن قرب الصلاة؛ لأنّها كالقرآن، لا يمسّها إلّا الطاهر عن درن

الذهول، و غسلين النسيان، و رين الرياء و نحو ذلک.
و للاهتمام بأمر الصلاة اختصّ ذکرها فی عبادة ما سوی اللّه إیّاه، حیث قال تعالی «أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ یُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الطَّیْرُ صَافّٰاتٍ کُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاٰتَهُ وَ تَسْبِیحَهُ وَ اللّٰهُ عَلِیمٌ بِمٰا یَفْعَلُونَ» «4». و هکذا رزق زکریا التبشیر بمیلاد یحیی فی الصلاة، کما قال تعالی «فَنٰادَتْهُ الْمَلاٰئِکَةُ وَ هُوَ قٰائِمٌ یُصَلِّی فِی الْمِحْرٰابِ أَنَّ اللّٰهَ یُبَشِّرُکَ بِیَحْیٰی» «5». و من هذا القبیل الدالّ علی الاهتمام بالصلاة و حالها: هو ما ورد فی شأن زکاة أمیر المؤمنین- علیه السّلام- و هو راکع؛ لأنّ أصل الزکاة و إن کان أمرا قربیّا قرینا للصلاة فی غیر موضع من القرآن إلّا أنّ اقترانها بها- أی:
بالصلاة- لعلّه قد أوجب فضلا زائدا باعثا لنزول آیة الولایة، حیث قال تعالی: «إِنَّمٰا وَلِیُّکُمُ اللّٰهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا الَّذِینَ یُقِیمُونَ الصَّلاٰةَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاٰةَ وَ هُمْ رٰاکِعُونَ» «6».

_____

(1) المنافقون: 9.
(2) النساء: 142.
(3) النساء: 43.
(4) النور: 41.
(5) آل عمران: 39.
(6) المائدة: 55.
أسرار الصلاة (للجوادی)، ص: 99
و حیث إنّ الصلاة عمود الدین، و بإقامتها یقوم الدین، و بتضییعها یضیع الدین تشتعل نار الحرب بین المصلّی و بین عدوّه المبین، و هو الشیطان الغویّ؛ لأنّه یرید أن یستحوذ علیه، و یحتنکه، و یعده و یمنّیه و یضلّه و یزیّن له، فلذا یکون المصلّی محرابا، و المصلّی مجاهدا للّه فی طرد المحارب المهاجم و دفعه و أسره، فلا بدّ و أن یکون متسلّحا فی هذه المحاربة، و لا سلاح للمؤمن إلّا التذلّل للّه و التعبّد له، المتجلّی ذلک بالبکاء علی نفسه، کما عن علیّ- علیه السّلام- فی دعائه الذی علّمه کمیل- رحمه اللّه- حیث قال: «و سلاحه البکاء»، فمن لا یبکی لضیق اللحد، و لا لظلمة القبر، و لا لبعد السفر، و لا لقلّة الزاد، و لا لغیر ذلک ممّا یدهش و یوحش فلا سلاح له فی محاربة الشیطان الذی یوسوس فی صدره. و أمّا إذا کان متسلّحا فهو ینجو بنجواه، و یتخلّص ببکائه، حتّی یرد حصن التوحید و الولایة، فإذا دخله أمن من العذاب، و لا بکاء إلّا عن معرفة طامّة الموت، و ما هو إلّا طمّ منه ممّا هو بعده، و لا یعرف ذلک إلّا بالعقل المؤیّد بالنقل، و إلّا بالنقل المعتضد بالعقل، إلّا فی الموارد الخاصّة الّتی لا سبیل للعقل إلیها.
و ممّا یکشف عن الاهتمام بالصلاة ما ورد فی حقّها علی المصلّی فی کلّ صلاة، بحیث یلزم علیه أن یصلّی صلاته صلاة مودّع حتّی یکون بإخلاص و

حضور، إذ الوداع يقتضى ذلک. و ما ورد فى حقّ الطواف أو الصوم أو نحو ذلک من اختصاصه بالطواف خاصّ و نحوه، فقد ورد فى عامّة الصلوات بلا خصيصة لشىء منها، بل كلّ صلاة فهى صلاة وداع، و السرّ هو ما أشير إليه: «اللّهمّ اجعلنا من المصلّين الّذين يناجونک و تناجيهم، و يكلّمونک و تكلّمهم فى ذات عقولهم، حتّى نستصبح بنور يقظة فى الأبصار، و الأسماع، و الأفئدة» «1»، «عارف بالمجهول و معروف عند كلّ جاهل» «2»، «و تعرّفت بكلّ شىء» «3» اجعلنا عارفين بک،

_____

(1) اقتباس من نهج البلاغة: الخطبة «222».
(2) الكافى: ج 1 ص 91 ح 2.
(3) دعاء عرفة لسيّد الشهداء- عليه السّلام.

راغبين فيک، زاهدين فى سواک بحقّ جميع الأنبياء و الأولياء، سيّما محمّد و آله صلّى اللّه عليه و آله.

قد منّ اللّه علىّ بتسويد أكثر هذه الرسالة فى شهر اللّه المبارک 1414 ه، و تسويد شطر قليل منه فى رحاب الغدير، على الناصب و المنصوب فيه بالخلافة آلاف الثناء و التحيّة.

18/ ذى الحجة/ 1414 ه ق المطابق 8/ خرداد/ 1373 ه ش قم المحمية

عبد اللّه الجوادىّ الآملىّ

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/41).
قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علـَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَـنـادِرُ البِحـار – فى تلخيص بحـار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص 159؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب28، ج1/ ص307).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثـَّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابِـذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علـَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بِساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنـَةِ 1340 الهجريّة الشمسيّة (=1380 الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسة ً و طريقة ً لم يَـنطـَفِئ مِصباحُها، بل تـُتـَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قدَ ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنـَةِ 1385 الهجريّة الشمسيّة (=1427 الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمع ٍمن خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتـَّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثـَقافة الثـَّقـَلـَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشـَّباب و عموم الناس إلى التـَّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النـّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثـَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطـّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشـُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...
- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدة ً، على أنـّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد - و نشرِ الثـَّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالـَم - مِن جِهةٍ أُخرَى.
- من الأنشطة الواسعة للمركز:
الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة

مسابقات القِراءة
ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول
ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...
د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ
ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة
و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: 00983112350524)
ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشک، و الرّسائل القصيرة SMS
ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...
ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة
ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّـِى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنـَة
المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد"/ ما بينَ شارع"پنج رَمَضان" ومُفترَق"وفائى"/بناية"القائميّة"
تاريخ التأسيس: 1385 الهجريّة الشمسيّة (=1427 الهجرية القمريّة)
رقم التسجيل: 2373
الهويّة الوطنيّة: 10860152026
الموقع: www.ghaemiyeh.com
البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com
الهاتف: 25-2357023- (0098311)
الفاكس: 2357022 (0311)
مكتب طهرانَ 88318722 (021)
التـِّجاريّة و المَبيعات 09132000109
امور المستخدمين 2333045(0311)
ملاحَظة هامّة:
الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتـُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنـّها لا تـُوافِى الحجمَ المتزايد و المتـَّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثـَّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلک،

يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّـقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّـمكّـن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

